عباس محمود العقاد

هدية الكروان

مجموعة شعرية

الكتاب: هدية الكروان. (مجموعة شعرية)

الشاعر: عباس محمود العقاد

الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

العقاد ، عباس محمود

هدية الكروان (مجموعة شعرية) / عباس محمود العقاد

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١١١ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٨ – ٤٣٣ – ٤٤٦– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١١٤٧٦ / ٢٠١٧

هدية الكروان

مجموعة شعرية

مقدمة في اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف، وكانت لياليهما السواحر الحسان، وكان هتاف الكروان الذي لا ينقطع من الربيع إلى الخريف، ولا يزال يتردد حتى يُسكته الشتاء. وأكثر ما يسمعه السامع في حوافي مصر الجديدة حيث أَسْكنُ وحيث يَكثُر هذا الطائر الغريب؛ لأنه يألف أطراف الصحاري على مقربة من الزرع والماء، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التي كان يسكنها الزهَّاد بين الصحراء والنيل؛ فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب.

ولي بالكروان ألفة من قديم الأيام، نظمت فيه القصيدة النونية التي أقول في مطلعها:

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني

وأودعتها الجزء الأول من الديوان.

ثم أعادني طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه، فاجتمعتْ عندي قصائدُ عدةٌ في مناجاته. وكأنني كنت أعارضه وأساجله بكثير من القصائد

الأخرى التي اشتملت عليها هذه المجموعة، فصحَّ على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله «هدية الكروان».

ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام؛ فأمَّا غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا؛ لأننا نتكلم عمَّا فيه من شعر يوحي الشعرَ، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان.

تسمعه الفينة بعد الفينة في جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبِّه لك الزاهدَ المتهجِّدَ الذي يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترةً بعد فترةٍ، ويشبِّه لك الحارسَ الساهرَ الذي يتعهَّد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء في مفاجأة منتظرة أو انتظارٍ مفاجئ، فلا تدري، أهي صيحة جذل أم هي صيحة روعة وإجفال؟ ولكنك تشعر بالجذل والروعة والإجفال تتقارب، وتتمازج في نفسك حتى لا تتفرق، كأنك تُصغي إلى طفل يرتاع وهو جذلان، ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيه؛ لأن للخطر في حسِّه طرافةً وحركةً، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فيُخيَّل إليك أنك تستمع إلى روح هائم لا يقيده المكانَ ولا يعرف المسافةَ، أطلقوه في الدنيا على حين غرة، فسحرته فتنة الدنيا وخلبته محاسن الليل، فهو لا يعرف القرار ولا يصبر في مطار. فأنت تتلقَّى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالمًا من معانٍ وأشجان

يتجاوب فيه تقديس المصلي القانت، وحدب الحارس الأمين، وروح الطفولة، ومناجاة الخطر المقبول، وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال؛ عالم لا نظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لا تقرأ صدًى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريُّون، على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب!

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع في هذه الأجواء!

فكأنَّما العامَّة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء؛ لأنهم يُلقِّبون المُغَنِّي بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون.

وليس عن تعصب منَّا للوطن نؤثر الكروان على البلبل وما إليه؛ لأنَّ التعصب الوطنيَّ على هذه الصورة حماقةٌ لا معنى لها في الشعر والشعور، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق. أمَّا الإعجاب بالطير الذي لا نسمعه، فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالي وتؤذي النفس كما يؤذيها كلُّ تصنُّعٍ لا حقيقةَ فيه، وأخفُّ موقعٍ له في نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية، كذلك الأصمّ الذي أراد أن يخفي صممَه في مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب

الصياح والاستحسان، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولا سامعين!

وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه، فبماذا عساه يشعر؟! إن الطير المغرد هو الشعر كله؛ لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية. فمن لم يأنس به لم يأنس بما في هذه الدنيا من طبيعة شاعرة، ولم يختلج له ضمير بما في الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعدُ هو حجة الطبيعة لشِعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو عند الشاعر وثيقةٌ لا يُعرض عنها ولا يُفلتها من يديه، فإذا قال الجفاة الجامدون: إن الشعر لغوٌ في الحياة، قال الشاعر: إن التعبير الموسيقيَّ عنصر من عناصر الطبيعة، وإنَّ الطير يغني ويهتف، وإن الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن، كأنَّ الغناء والتعبير عن الشعور هما غاية الحياة القصوى، لا ينساها الحيُّ إلا لعائق يشغله ويغضُّ من حياته.

والجفاة الجامدون يقولون كثيرًا عن الشعر في الزمن الأخير، يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذي تفيض به الطبائع الحية، ولا سيما الأحياء المغرِّدة الطائرة، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكلِّ أمَّة ولكلِّ قبيلة ولكلِّ لغة، فلو كان شيئًا عارضًا في الحياة الإنسانية لما وُجد حيث توجد الحياة الإنسانية، ولو كانت الموسيقية نافلةً في الدنيا لما وُجدت في أمَّة الطير، وإذا وُجدت في لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنسانيُّ وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان؟

فبين الطائر المغرِّد والشاعر الشادي محالفةٌ طبيعيةٌ لا تحنث فيها الطير، ولا تُقصِّر في إسداء حصتها الخالدة، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفي كلَّ دَيْنه، ولن يستنفد كلَّ حصته، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التي يتَّصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء.

عباس محمود العقاد

الكروانيات

هتفات الكِرْوان [1] بالليل تترى ومعاني الربيع نورًا وعطرا

وجمال الحياة حبًّا وحسنًا وشبابًا يفيض عطفًا وبِشرا

بتُّ أُصغي لها، وأقبس منها ثم ترجمتُها لمن شاء شعرا

الكروان المجدد

قبل عشرين سنةً نَظَم صاحب الديوان قصيدة «الكروان»، وفيها هذه الأبيات:

هل يسمعون سوى صدى الكروانِ صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني؟

من كلِّ سارٍ في الظلام كأنَّه بعضُ الظلام، تُضلِّه العينانِ

يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه موجُ الدياجر، دعوةَ الغرقان

ما ضرَّ مَن غنَّى بمثل غنائه أنْ ليس يبطش بِطشة العِقبان

إنَّ المزايا في الحياة كثيرة الخوف فيها والسَّطا سيان

•••

(١) جمع كَرَوان بفتح الكاف والراء.

يا مُحيـــيَ الليـــل البهـــيم تهجُّـــدًا والطـــير آويـــة إلى الأوكـــان

يحـدو الكواكـب وهـو أخفـى موضـعًا مـن نابـغ في غمـرة النسـيان

قـــلْ يا شـــبيهَ النـــابغين إذا دُعـــوا والجهـل يضـرب حـولهم بجـران

كـم صـيحة لـك في الظـلام كأنهـا دقـات صـدر للدُّجُنَّـة حـانِ

هُـنَّ اللغـات ولا لغـات سـوى الـتي رُفعـت بهـن عقـيرة الوجـدان

إنْ لم تقيِّـــدْها الحـــروفُ فإنَّهـــا كـالوحي ناطقـةٌ بكـلِّ لسـان

أغـنى الكـلام عـن المقـاطع واللَّغـى بـث الحـزين وفرحـة الجـذلان

وفي هذا العام نَظَم صاحب الديوان القصيدة التالية؛ ليقول فيها: إنَّ ما سمعه من الكروان أولًا غير ما سمعه آخرًا، وإنَّ الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير.

وهذه هي القصيدة:

زعمـوك غـير مجـدَّد الألحـان ظلمـوك، بـل جهلـوك، يا كـرواني

قـد غيَّرتـك، ومـا تُغـيِّر شـاعرًا عشـرون عامًـا في طـراز بيـان

أسمعتـني بالأمـس مـا لا عهـد لي بســـماعه في غـــابر الألحـــان

ورويـت لي بالأمـس مـا لم تـروِهِ مـــن نغمـــة وفصـــاحة ومعـــان

شكواي منك، وإن شكرتك، إنه سـرٌّ تصـرُّ بـه علـى الكتمـان

شكري إليك، وإن شكوتك، إن سـرٌّ تـؤخِّره لخـير أوان

كنـز يصـان فهـاتِ مـن حباتـه ذخـر القلـوب وحليـة الآذان

•••

أنا لا أراك؟! وطالمـا طـرق النُّهـى وحـيٌ، ولم تظفـر بـه عينـان

أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى وإن استقر على الثرى جثماني

أنا في لسـانك حيـث أطلقـه الهـوى مرحًا، وإن غلب السرور لساني

أنا في ضـميرك حيـث باح فمـا أرى سـرًّا يغيِّبـه ضـمير زمـاني

أنا منك في القلب الصغير، مساجلٌ خفـق الربيـع بـذلك الخفقـان

أنا منك في العين التي تَهَبُ الكرى وتَضنُّ بالصحوات والأشـجان

طِرْ في الظلام بمهجة لـو صـافحتْ حجـر الوهـاد لهـمَّ بالطـيران

تغنيـك عـن ريـش الجنـاح وعزمـه فرحـات منطلـق الهـوى نشـوان

فرحـات دنيـا لا يُكـدِّر صـفوَها بالمَـيْنِ غـيرُ سـرائر الإنسـان

•••

سرَّ السـعادة في الوجـود الفـاني سـرُّ السـعادة نفـرة ومحبـة

فـيكم تُؤلَّـف نافـر الأوزان ... علَّمتـني بالأمـس سـرَّك كلَّـه؛

الكـون أنـتم في صـميم نظامـه ... وكـأنكم فيـه الطريـد الجـاني

أنـتم سـواءٌ كالصـديق وبيـنكم ... بعـدٌ كمـا يتباعـد الخَصـمان

لا يحمـل الطيـار وزر العـاني ... حمـل ابـن آدم عشـرة الإخـوان

لا عـالمٌ مـنكم ولا مـتعلمٌ ... كـلا! ولا متقـدِّمٌ أو وانِ

متشـابهين علـى الحيـاة فكلكـم ... سـاري ظـلامٍ، هـاتف بأغـانِ

متفـرقين علـى المُقـام ودأبكـم ... عنـد الرحيـل تجمـع القطـان

وكأنَّمـا نُسـخت لكـلِّ نسـخةٌ ... مـن هـذه الأجـواء والأوطـان

فهو الشريك على نصيب واحدٍ ... وهـو الوحيـد فمـا لـه مـن ثانِ

ذخر الطبيعة منه تُعْطَوْنَ الحِجى ... لا مـن سـباق بيـنكم ورهـان

•••

أنتم بني الطير المسبّح في الدجى ... فـيكم كهانـة صـالح الكهَّـان

بعـتم كـرى الغـافي وطيـب رقـاده ... وبـه اشـتريتم يقظـة اليقظـان

قـل مـا اشـتهيت القـول يا كـرواني ... في لهـو ثـرثار وحلـم رزان

سـأعيش مثلـك لي وللـدنيا معًـا ... وأقـول مثلـك: كيـف يزدوجـان؟

وأظـلُّ تـزدحم الحيـاة بمهجـتي أبـدًا ويجتنـب الزحـام مكـاني

في عزلـة أنا والحبيـب تؤمُّنـا دنيـا الجمـال، ونحـن منفـردان

الليل يا كروان

الليـــــلَ يا كـــــروان بشـــــراك طـــــاب الأوان

بشـــراك؟ بـــل أنـــت بشـــرى تهفـــــو لهـــــا الآذان

ســـهران في الليـــل شـــاد فكلَّنـــــا ســـــهران

وإن تكـــن أنـــت حلمًـــا فكلنـــــا وســـــنان

وســـنان لم يســـهُ قلـــبٌ لـــــه ولا أجفـــــان

النـــوم في الصـــيف وزرٌ وفي الهـــوى كفـــران

•••

الليـــــلَ يا كـــــروان مـــا أنـــت والنســـيان

حاشـــاك مـــا أنـــت ســـاهٍ عنـــــه، ولا كســـــلان

الليـــل ذكـــرى وأنـــت الـــ ـــــمذكِّرِ اليقظـــــان

لكنمـــــا أنـــــت روحٌ وهـــل لـــروح مكـــان؟

بينـــــا يقـــــال قريـــــب كأنـــــــه الوجـــــــدان

إذا بـــــــه في صـــــــداه كأنـــــــه كيـــــــوان (١)

إن كـــان في الســـمع طيـــف فأنـــــــت يا كـــــــروان

صـــــــوت ولا جثمـــــــان لحـــــــن ولا عيـــــــدان

كأنـــــــه هـــــــاتف في فضـــــــائه حـــــــيران

أو رجـــع صـــوت قـــديم يعيـــــــده الحســـــــبان

•••

الليـــــــلَ يا كـــــــروان فـــــأين منـــــك البيـــــان؟

ليـــــل الطبيعـــــة صـــــمتٌ وأنـــــت فيـــــه لســـــان

وظلمـــــة الليـــــل ســـــرٌّ فـــــاقرأه يا ترجمـــــان

مـــا في الظـــلام ظـــلام الحـــ ـــــياة لـــــو يُســـــتبان

إلا صـــــــياح اشـــــــتيا تروضـــــــه ألحـــــــان

نصـــف الحيـــاة اضـــطراب ونصـــــــــفها أوزان (١)

---

(١) النجم عطارد، وهو إله الغناء والفنون في عرف الأقدمين.

الليـــل والصـــيف والحـــب كلهـــــــــــن أوان

وأنـــــت مـــــنهن طـــرًّا علـــى وعـــودٍ تصـــان

خـــذ صـــمتهنَّ وصـــغه شـــدوًا لـــه ســـريان

غُـــصْ في قـــرار الـــدياجي فللـــــدجى شـــــطآن

واســـتقبل الـــنجم علـــوًّا إن النجـــوم حســـان

وخـــذ مـــن الصـــيف نارًا لا يعتليهـــــا دخـــــان

وارقـــص مـــع الحـــب دورًا دارت لـــــه الأكـــــوان

في الأرض بيتـــــــــك ثاوٍ وفي الســـــماء افتنـــــان

وبـــين ذلـــك ملهًـــى للحـــب، بـــل ميـــدان

واللهـــو في الحـــب، فـــاعلم كـــــالحرب يا كـــــروان

عليـــك مـــن ذا ومـــن ذا يا ابـــن الليـــالي أمـــان

شـــادي الغـــرام لـــه مـــن ســـكر الغـــرام ضـــمان

الليـــــل يا كـــــروان والعـــــالم الغفـــــلان

---

(١) الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروِّض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوضى ونصفها وزن، والشعور الفني هو الحياة الكاملة.

ونسـمة الصـيف تسـري وفي يـديك العنـان

والصـبح أول مَرسـى يـرتاده الركبـان

ألا تَـزاورَ (١) عنـه في الرحلـة الـربان؟!

ومـا ارتضـاه ولكنـ ـما الزمـان زمـان

فـاملأ مـن الليـل نفسًـا عزيـزةً لا تهـان

لا هتفـة فيـه تبقـى إلى غـدٍ أو أذان

الليـل يا كـروان! الصـبح يا كـروان!

سؤال الكروان

حـذار البـأس أو حـب الجمـال هتافك في الدجى يا ابن الليالي؟

ومـن يقظـات نفـس فيـك نشـوى تعـاف النوم أم من سوء حال؟

وعنـدك للنجـوم هـوى قـديم أوَ انَّـك كـارهٌ للصـبح قـالِ؟

وهـذا الطـير يـنعم في ضـحاه فمـا لـك في النعـيم بـلا مثـال؟

أضلَّ الطيرُ – ويحك – عن هداه أوَ انَّك أنت وحدَك في ضلال؟!

---

(١) تزاور: انحرف وأعرض.

وأيـن مـن الضـلال هتـاف حـر تنـزَّه عـن نشـوز وابتـذال؟

•••

وقـالوا: مـا شـدا الكـروان إلَّا ليسـأل عرسـه قـوت العيـال

وقـالوا: تسـرق الأعشـاش عمـدًا على كسلٍ وضعف في الخصال

وإنـك بالـتراب شـبيه حـال وبالديـدان منهـومٌ مغـالِ

سألتُ، وما أرى لك من جواب سوى اللحن الشجيّ على سؤالي

سـأسمع منـك أنغـامَ الليـالي وأسمـع عنـك أشـتات المقـال

ولا آلـوك إصـغاءً ووصـفًا كـلا الأمـرين مـن همّـي وبالي

أبا الكروان – يا مظلوم – تُدعى وأنت عن الكرى المحبوب سالِ؟!

بحسـبك أنهـم كـذبوا جهـرًا وأنـك صـادق الهتَفـات عـالِ

وأنـك مفـردٌ في الطـير لحنًـا ومـا استفردت في تلـك الخـلال

إذا شـابهتها في الـنقص حينًـا فـأين المشـبهاتك في الكمـال؟

غَنِّ يا كروان

قـم غـنّ يا كـروان غـنّ وتمـنَّ في الـدنيا ومـنّي

وَأْمَـــنْ دجـــاك وإن عرفـــ ـــتُك في الحيـــاة قليـــل أمـــن

فـــيمَ المخافـــة يا سميـــ ـــر الليـــل أو فـــيمَ التجـــني؟

لا أنـــت جـــزل في الصـــحا ف ولســـت في قفـــص تغـــني

كـــــلا ولا في خافقيـــــ ـــكَ الحـــائلَين بريـــق حســـن

والصـــقر نام وأنـــت وحـــ ـــدك تمـــدح الـــدنيا وتثـــني

لـــك كـــل مـــا دون الكـــوا كـــب مـــن سمـــاك الليـــل مبـــني

فَـــأْمَنْ زمانـــك أو فخـــف فـــالطبع دون الـــرأي يغـــني

إني إخالـــك لـــو أمنـــ ـــت لمـــا هتفـــت لنـــا بلحـــن

ما أَحبَّ الكروان!

ما أَحبَّ الكروان!

هل سمعت الكروان؟

•••

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا

حيث كانت جيرة أو حيث كنا

هاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا [1]

هو ذاك الكروان، هو هذا الكروان!

•••

الكراوين كثيرٌ أو قليلْ

عندنا أو عندكم بين النخيلْ

ثَمَّ صوتٌ عابرٌ كلَّ سبيلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

•••

لي صدى منه فلا تنسَ صداك

هو شاديك بلا ريبٍ هناك

فإذا ما عسعس الليل دعاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

---

(١) الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

مفردٌ لكنه يؤنسنا

ساهرٌ لكنه ينعسنا

صدحت في نفسه أنفسنا

فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

•••

واحدٌ أو مائة ترجعه

عندنا أو عندكم مطلعه

ذاك شيءٌ واحد نسمعه

في أوان وبيان، هو صوت الكروان

•••

واحدٌ بين عصور وعصور

نحن نستحيي به تلك الدهور

لم يفتنا غابر الدنيا الغرور

على الجناح الصاعد

حادي الظلام على جناحٍ صاعدِ ... يا أرضُ أَصغي، يا كواكبُ شاهدي!

يا آنسين بصحبة من وجدهم ... نُصُّوا المسامع للأنيس الواجد

يا ساهدين على انفراد في الدجى ... ردوا التحية للفريد الساهد

المستعزِّ بعرسه وكأنه ... منها نجيُّ مغاور وفراقد

لهجت طيورٌ بالضحى وتكفَّلت ... بالليل حنجرة المغني الخالد

يحدو ويشدو لا مساعد حوله ... أبدًا، وما هو آمن لمساعد

أنا صائدٌ لصداك، لستُ بصائد ... لك أنت يا كروان، فَأْمَنْ صائدي

بينا أقول: هنا، إذا بك من هنا ... في جنْح هذا الليل أبعد باعد

وددت يا كروان لو ألقيتَ لي ... صوتين منك على مكان واح

إن كنت تشفق أن أراك فلا تَزَلْ ... في مسمعي وخواطري وقصائدي

عاهدت هذا الصيف لستُ بواهبٍ ... سمعي سواك، فهل تراك معاهدي؟!

من كان قد أغنى الطبيعة كلها ... مُغْنِيَّ عن شادٍ سواه وشائد

ألف صدى

ألـــف صـــدى لهـــاتف ... منفـــرد علـــى الـــذرى؟

أم ألـــف شـــادٍ ردَّدت ... هتافهـــا مكـــررا؟

أم ذاك روح أطلقـــو ... هـ في الـــدُّنى محـــيَّرا

فَرادَهـــا مســـتغربًا ... وطافهـــا مستبشـــرا

فـــلا يقـــال مقبـــلٌ ... حـــتى يقـــال أدبـــرا؟

هـــنَّ كـــراوين الليـــا ... لي أو فقـــل هـــو الكـــرا (١)

لا نقـــصَ إن قلَّـــت ولا ... مزيـــد في أن تكثـــرا

باركهـــا مـــن بارك الخلـــ ... ـــد ومـــا قـــد أثمـــرا

شدو الآمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سفرا ... ولـفَّ ظلمـاءه أو أطلـع القمـرا

مـا أنـت بالليـل مفتونًا، ولا كلفًـا ... بالـنجم، أو بظـلام الليـل حـين سـرى

وإنمـا أنـت مفتـون بعزلتـه ... وبالأمـان الـذي تلقـاه مسـتترا

---

(١) الكرا: ذكر الكروان.

وبالحبيب الذي يدعوك مرتفعًا ... في ساحة الليل، أو يدعوك منحدرا

إذا شدوت فما أدري، أذو كلفٍ ... ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا؟

سيان يا كرواني القلبُ مستعرًا ... بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا

إن كان شدوك أمنًا فاشدُ في دعةٍ ... أو لا، فلا زلتَ مذعور السرى حذرا!

لمن الفضل؟

كروان الليل رتّل للهوى ... آية الحمد ... وحمد الفطِن

هو أغراك بشدوٍ وثنى ... لك سمع العاشق المفتتن

لك إلفٌ من تستوحي، ولي ... أنا إلفٌ وحيُهُ ينطقني

أنتَ لولا نفحةٌ من حبه ... ساكنٌ عندي، وإن لم تسكن

صامت الفن، أخا الفن، وإن ... صدحت ألحانه في أذني

غار حِبِّي منك فاسمع إنني ... عنه أروي كل شيء حسن

وله الفضل ومنه الوحي لا ... منك في كل مقال بيِّن

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب؛ لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته:

القَمَارِيُّ العارفة

مـلأتْ داري القَمـاريُّ غنـاء ... ويحها! هل يكشف الطير الغطاءَ؟

عرفـت عنـدي ربيعًـا بعـد مـا ... رَهِبَـتْ مـن ظلمـة الـدار الشـتاءَ

عـرفتني العـام، أم كانـت هنـا ... كـلَّ عـام تمـنح الـدار الـولاءَ؟

لم أكـن أحفلهـا حـتى إذا ... صـدح الحـب تسـمَّعتُ الغنـاء!

ببغاء[1]

ببغـاءٌ ترنمـتْ ... بمـديح البلابـل

أيـن منـا بلابـلٌ ... مسـرعات المراحـل

في سمـاوات مـوطن ... لـيس منهـا بآهـل

بالكـراوين عـامر ... والقمـاريِّ حافـل

ناجِ مـا أنـت سـامع ... يا أسـير الأوائـل

اسْـلُ عـن عاجـل بـذي ... صـحبة غـير عاجـل

مـا اشـتغالٌ بمـورد ... لسـت منـه بناهـل

---

(١) الببغاء تحكي ما تسمع دون أن تعقل، وكذلك يكون الشاعر الذي يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه، فهو في مصر نادر لا يزورها إلا في رحلة عاجلة.

وانصـــراف عـــن الـــذي ... أنـــت منـــه بســـاحل

أنـــت عنـــدي بـــذا وذا ... جاهـــلٌ أيُّ جاهـــل

ناقـــلٌ لهفـــة الصـــدى (١) ... أو شـــبيهٌ بناقـــل

في الكـــراوين غنيـــةٌ ... عـــن نشـــيد البلابـــل

والقَمـــاريُّ مـــا لهـــا؟ ... أصـــغِ واسمـــع، وســـائلِ

إن تعـــداك قولهـــا ... فـــالتمس وصـــف قائـــل

شدوٌ لا نَوْح

شـدوُ القَمـاريِّ لا نَـوْح القمـاريِّ ... هل يعبر الحزن بالشادي الصباحيِّ؟

أو الربيعـي في أنـس وفي أمـل ... وفي غـرام علـى الإلفـين مطـويِّ؟

يا حسنها من بشيرات على دعة ... كأنهـا أمنـت فـوتَ الأمـانيِّ

محبَّبـات إلى الإنسـان تألفـه ... وتعتلـي مـن ذراه كـل علـويِّ

تهوى الديار، وفي الآفاق مطلعها ... ما بالها؟ هل سباها حسن إنسيِّ؟

وللأناسـيِّ حسـنٌ لا أبـوح بـه! ... هل تعرف الطير ما حسن الأناسيِّ؟

---

(١) الظمأ

غنَّت لزهر وسلسال ولو رشفت زهـر المباسـم جُنَّـتْ بالأغـانِيّ

أوْلى لقُمريّتـا ألا يحـوم علـى يأس الهوى بين إنسيٍّ و«طيريّ»

غرِّد على الدور يا قمريُّ في دعة واسـلم هنالـك مـن باكٍ ومبكـيّ

واتلُ الرجاء على هذا وذاك، ولا تسألهما عن جوًى في القلب مخفيّ

حسب المغاني التي يبكي الحزين بها مـن سلوة، أنَّ فيها شدو قمريّ

شفاعة للغراب

حيَّ الغرابُ الفجر بالنعيب تحيـة التهليـل والترحيـب

وافـترَّ نـور الفجـر كالمجيـب في غـير مـا لـوم ولا تثريـب

لهاتف ناداه من قريب

•••

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيـي النـور باليقـين؟

تحيـة العصـفور والشـاهين ألا تـدين كلهـا بـدين؟

فما له يُعذل كالرقيب؟!

•••

شـفاعة الأنـوار والأحبـاب في الأسـود المهجـور في الخـراب

ما الصيدح الهاتف بالعجاب أصدق حبًّا لك من غراب

فاعذره يا فجر على التشبيب

•••

أسمعُهُ والطير في أوان وقبلة الصبح، وقد ناجاني

صوت حبيبي باديَ الحنان لذلك الموعود بالحرمان

وما له في الحسن من نصيب!

•••

أمنتُ منه لوعة الفراق وكلَّ غاقٍ عنده وقاق

فلا يزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفِيح والآفاق

ومنك يا فجر، ومن حبيبي

عادات الغراب

بئس الغراب وإن ذكرتُ بصوته عطف الحبيب عليه كلَّ صباح

أبدًا يقاطع كلَّ شادٍ حوله كمعطِّلي الإنشاد في الأفراح

فإذا شدا الكروان أتبع شدوه بصياح شؤمٍ منه أو بنواح

وإذا ترنَّمتِ القَماريُّ انبرى ما بين تَنْعابٍ وخفق جناح

حسـدًا ولؤمًـا، أو غـرورًا لم يـزل دأب الحسود وديدن الملحاح

لا عـاد فـرع كـان ينعـب فوقـه فرمتـه فـأس الحاطـب المجتـاح

نعب على عشه

هـــــدَّموا دارَ الغـــــرابِ وابتلَـــــوه بالخـــــرابِ

قطَّعـــوا الدوحـــة قطعًـــا ورمَوهـــا في الـــتراب

ليـت شـعري مـن هُنـا النـا عـــب يا رب النُّعـــاب

لســتَ بالمــأمون فاذهــب غـــير مبكـــيٍّ الـــذهاب

أنـــت آذنـــت بخـــوفٍ في هـــوانا وارتيـــاب

لم تصُـــن عهـــدًا لمـــن [1] طـــك بالعطـــف العجـــاب

لحبيـــــبٍ بات يرثـــــى لـــك مـــن ســـخر الصـــحاب

فـــامضِ في غـــير وداع وانْأَ في غـــير اقـــتراب

وخـــذ الغـــربان طـــرًّا مؤنســـات في الركـــاب

مـــن ذوات العـــش في النفـــ ـــس وفي هـــذي الرحـــاب

---

(1)

رُبَّ شـــكٍ هـــو في الأنفـــ ـــس شـــرٌّ مـــن غـــراب!

سحر الطير

كـل إلـفٍ لـه مـن الطـير إلـفُ هكـذا تجمـل الحيـاة وتصـفو

أمـــلٌ يُرتقـــى، وحـــبٌّ يُنـــاجى ولســـان يشـــدو، وقلـــب يـــرفُّ

بـــك خـــفَّ الجنـــاح يا أيهـــا الطـــ ـــير، ومـــا كنـــت بالجنـــاح تخـــفُّ

لطـــف روح أعـــار جنبيـــك ريشًـــا فمـن الـروح لا مـن الـريش لطـفُ

لـــيس ينميـــك للســـماء جنـــاح بـــل غنـــاء عـــن الضـــياء يشـــفُّ

إن مضـــى النـــاس يعجبـــون قـــديمًا كيف تعلو؟ عجبتُ كيف تُسِفُّ؟!

ثقلـــةٌ في الحيـــاة لم يـــنجُ طبـــع مـــن عراقيهـــا ولم يخـــلُ عـــرف

غزل ومناجاة

ارتجال المُنى

منِّـي أطيـب المـنى يا حبيـبي ... فـالمنى وحـدَهُنَّ منـك نصـيبي

إن يَفُتنـا منالُهـا لم تفتنـا ... نظـرةٌ مـن خيالهـا المرقـوب

•••

منِّـي، بـل دعِ المـنى يا حبيـبي ... فشـقائي في الموعـد المكـذوب

هـان فقـد المـنى الـتي لم تَعِـدنا ... وافتقـاد الموعـود جِـدُّ صـعيب

•••

أعطـني! أعطـني إذن يا حبيـبي ... غـيرَ مـا ناكـثٍ ولا مسـتجيب

أعطـني صـفوك ارتجـالًا ودعنـا ... مـن مطـالٍ بالوعـد أو تقريـب

فارتجـال المـنى أحـبُّ لـنفس ... شـبعت مـن رويَّـة التجريـب

متى![1]

مـتى يا عيـون يعـود الضـياء؟ ... مـتى يا رياض يعـود الربيـع؟

---

(١) إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه: متى يعود إليه؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التي تتردد في هذه القصيدة.

مـــتى تأمـــرين؟ مـــتى تأذنـــين؟ مـــتى تَقبلـــين دعـــاء الشـــفيع؟

•••

مـــتى يرجـــع الغائـــب المرتجـــى إلى صـــدر أمٍّ براهـــا الســـقام؟

متى يهـبط النـوم تحـت الـدجى لعينيـــك يا ســـاهرًا لا ينـــام؟

•••

مـــتى يطلـــع الـــنجم للتـــائهين؟ وقـــد غرقـــوا في ليـــالي الخطـــوب

متى يجمع الشـط تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخِضَّمُ الغضوب

•••

مـــتى يأذن الجـــائعون الظمـــا ء في المـاء يطفـئ حـر الصـدى؟

وفي الـــزاد يبقـــى ذمـــاء الحيـــا ة، وفي الخمر يعلـو بها مُصعدا؟

•••

مـتى؟ إي وربـك قـل لي: مـتى؟! وســـلهم عـــن اليـــوم والموعـــد

فقـــد يُقبـــل الزائـــر المرتجـــى ولا مـــن مُـــلاقٍ لـــه في غـــد؟!

•••

إليـك مثـال السـؤال العجيـب وأنـــت بأحلـــى مثـــال تجـــود

عشـــيةَ تبســـم عنـــد الـــودا ع وتسـأل: في أي يـوم أعـود!

جمال يتجدد

كلمـا قلـتَ لي: الربيـع جميـل قلت: حقًّا. وزاد عندي جمالا

عجبًـا لي، بـل العجيبـة عنـدي صور الكون كم يَسعْن كمالا

خلتُـني قـد وعيـتهن عيـانًا وتتبعـت مـن وَعوهـا خيـالا

شـاعرًا عاشـقًا وقـارئ كتْـب قـرأ الكتـب دارسًـا، فأطـالا

فـإذا نظـرةٌ بلحظـك تبـدي صـورًا مـا طـرقن عنـديَ بالا

بعـداد الأنـوار في أعـين الحِبـْ ـبِ نعـدُّ الأكـوان والأجيـالا

النبض

رأوا فمـا عرفـوا، كـلا ولا عجبـوا ولا دروا بالـذي أرجـو وأرتقـب

كأنمـا أنا مـن أمسـي ومـن غـده لم يختلـف قـط لي شـجو ولا طـرب

في مهجـتي أمـل فاضـت بشـائره فما لهم حُجبوا عنه، وما حُجبوا!

فلـو تشـيم ضـياء القلـب أعينهم لأبصـروا فيـه عـين الشـمس تقـترب

كالفجر تسري على مهل طلائعه أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب

الحمـد لله! لا شـاموا ولا نظـروا ... ولا درى جاهـل مـنهم ولا أرِب

لو أبصروا الموعد الموموق مقتربًا ... لجفَّلتـه إذن مـن لـؤمهم رِيَـب

وهـبَّ للشر منهم عسكر لجب ... إن يطلبـوه لخـير عـزَّهم طلـب

يا أيها الناس قرُّوا في مضاجعكم ... إني وحقكـم أسـوان مكتئـب!

أسوان مكتئب لا الحسن يفرحني ... ولا الحبيـب لـه في فـرحتي أرب

وهـاكم النبض جسوه، أعندكم ... تحت الأضالع قلب خافق يثب

كـلا وحقكـم! لا كـان حقكـم ... إلا اليمين التي يحلو بها الكذب!

اليوم الموعود

يا يـوم موعـدها البعيـد ألا تـرى ... شوقي إليك، وما أشاق لمغنم؟

شوقي إليك يكاد يجذب لي غدًا ... من وكره، ويكاد يَطْفِر من دمي

أسـرعْ بأجنحـة السـماء جميعهـا ... إن لم يطعك جناح هذي الأنجم

ودع الشـموس تسـير في داراتهـا ... وتخطَّهـا قبـل الأوان المـبرم

مـا ضـر دهـرك إن تقـدم واحـد ... يا يـوم مـن جـيش لديـه عرمـرم

•••

لي جنــة يا يــوم أجمــع في يــدي ... مــا شـئتُ مــن زهــر بهــا متبســم

وأذوق مــن ثمراتهــا مــا أشــتهي ... لا تحتمــي مــني ولا أنا أحتمــي

وتطوف من حولي نوافر عُصْمها ... ليست بمحجمة ولستُ بمحجم

وتلــذ لي منهــا الوهــاد لــذاذتي ... بتصــــعدٍ في نجــــدها وتَســــنُّم

لم آس بــين كرومهــا وظلالهــا ... إلا علــى ثمــر هنــاك محــرم

فكأنمــا هــي جنــة في طيهــا ... ركــن تسـلل مــن صــميم جهــنم

أبــدًا يــذكرني النعــيم بقربهــا ... حرمــان مــزءودٍ٢ وعسـرة معـدم

وأبيـت في الفـردوس أنعـم بالمـنى ... وكــأنني مــن حســرة لم أنعــم

•••

يا يــوم موعــدها ســتبلغني المــنى ... وتُــتمُّ لي الفــردوس خــير مُــتمِّم

لا غصــن رابيــة تقصــر راحــتي ... عنــه، ولا ثمــر يعــز علــى فمــي

ســأظل أخطــر كالغريــب بجنَّــتي ... حتى أثوب على قدومك، فاقدم!

فأبيــت ثم إذا احتــواني أفقهــا ... لم أُنْــهَ عــن أمــل ولم أتنــدَّم

فرحى بصبحك حين تشرق شمسه ... فـرح الضـياء سـرى لطـرف مظلـم

•••

أمعـيرتي خلـد السـماء سماحـةً صـونيه عـن ولـهٍ صـيانةَ مكـرم

رفقًـا بخلـدك أن تشـوبي صـفوه إن لم تـريْ رفقًـا بمهجـة مغـرم

ضياء على ضياء

علـى وجنتيـه ضـياء القمـر نظـيران يسـتبقان النظـر

جمعتهمـا أنا في لثمـة أو البـدر قبَّلـه فابتـدر؟

فمـا زال يلحظـه جهـرةً ويغمـزه مـن وراء الشـجر

ويزعمهـا قبلـةً مـن أخٍ ففـيمَ إذن قطفهـا في حـذر؟!

ولـو شـئتُ ظللـت وجـه الحبيـ ـب ولـو شـئت كللتـه بالزهـر

ولكـن كرمـتُ فَخُـذْ يا قمـر مـن الـزاد مـا تشـتهي في السـفر

•••

سـها الليـل عنـا وعـن بـدره وهـز الحبيـب حنـين السـهر

فقـال، وقـد فـاض منـه الرضـى وسُـرَّ بفـيض رضـاه وسَـر:

علـى مثـل هـذا تطيـب الحيـا ة، وفي مثـل هـذا يـروق السـمر

فقلـت: أجـل مـا أحـبَّ الحيـا ة، وأنـت شـفيع لهـا مُـدَّخر

لأجلـك يصـفو لهـا مـن صـفا وباسمـك يعـذرها مـن عـذر

شعر وشعر

أَمِنْ شعرٍ؟ نعم! شعرٌ وشعرُ وخفـقٌ في الجـوانح لا يقـرُّ

فمنِّي الوزنُ في خفقات قلبي ومنـك الـوحيُّ والحسـن الأغـرُّ

وتسألني، كأنَّك لستَ تدري! ومـا لي غـير مـا أوحيـتَ سـرُّ

وأحرى بي سؤالك عن قصيد فما لي فيه – بل لك أنت – أمر:

أأنظـم في غـدٍ أم لاتَ نظـم علـى مـا ترتضـيه ولات نثـر؟

وعـن شـفتيك لا شـفتيَّ أروي عشـيةَ يلتقـي ثغـرٌ وثغـرٌ

فلقِّـنِّي أُجبْـك ولا تسـلني سؤال الشمس: هل سيلوحُ فجر؟[1]

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء

تجربةٌ في البحر والسماء

جربها «مفصِّل» الأشياء

([1]) ليس للشمس أن تسألنا: هل يلوح الفجر؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هي، وكذلك الحبيب، لا ينبغي أن يسأل الشاعرَ: هل ينظم شعرًا؛ لأنه ينظمه بوحيه.

لِتَلْبَسِيهِ بعدُ في الأزياء

مُجوَّدَ الإتقان والرواء

ما ازدان بالأنجم والضياء

ولا بمحض الزَّبَد الوضَّاء

زيَّنتِه بالطلعة الغرَّاء

ونضرة الخدين والسيماء

ولمعة العينين في استحياء

إن فاتني تقبيله في الماء

وفي جمال القبة الزرقاء

فلي من الأزرق ذي البهاء

يخطر فيه زينة الأحياء

مُقبَّلٌ مبتسم الأضواء

مردد الأنغام والأصداء

وقبلةٌ منه على رضاء

غنَّى عن الأجواء والأرجاء

وعن شآبيب من الدأماء [1]

وعنك يا دنيا بلا استثناء

يوم

ذهب الليل ودار المَلَوان [2] وشدا قبل الصباح الكروان

وتحدَّاه الغُدافيُّ [3] الذي تبسط الرفق عليه والحنان

ومشى الصبح على مهلٍ كمن يطرق الدار على غير أمان

وتلمستُ هنا تغريدةً في فمي تصدح في هذا الأوان

قُبلة منك هي الفجر، وفي طيها تبدو ثناياه الحسان

عن شمالي كلَّما ولَّى دُجى وسرى فجر، وحنت شفتان

وتراءت نظرة ناعسة عند أخرى، فتلاقت نظرتان

---

(١) الشآبيب: أول ما يظهر من الحسن، وشدة اندفاع كل شيء. والدأماء: البحر.

(٢) الليل والنهار.

(٣) الغراب. راجع ما تقدم.

بان ليلي! لا تسلني: كيف بان؟ أنت تدري، فاغتفر عيَّ البيان

كلَّما يممتُ داري قلتَ لي: أجناحان لنا أم قدمان؟!

فأتيت الدار لا أحسبها قربت قطُّ، ودوني خطوتان

لم أكن أطلبها، ويحي! ولا أطلب المهرب منها حيث كان

أين أمضي؟ أين تحدوني الخُطا؟ ضاقت الدار، وضاق المشرقان

راعني نقص بعيني ويدي وفمي الصادي، وقلبي، واللسان

خلتُني بُدِّلت منها غيرها ولو استبدلها الخطب لهان

أهزيع منك يا ليل مضى؟ أمضى نصف؟ أما ينشطران؟

بان ليلي! لا تسلني: كيف بان؟ حاطك الله من الليل وصان

إي وربي بان لكن بعدما نفدت ساعات عمري في ثمان

لا زمانٌ حيثما لاقيتني فإذا فارقتني كان الزمان

•••

طلع الصبح حزينًا عاطلًا أتُراه كان بالقرب يُزان؟

وسرتْ أنفاسه يا حسرتا! أين أنفاسك يا زين الحسان؟

نسمات الصبح أورت [1] كبدي فحجبت الأنف عنها والعيان

وتمشَّيت إلى كتبي على مضض مني، وللكتب أوان

يا أبا الطيب لا تهرف! ويا صاحبي الروميَّ ما هذا الرطان؟!

شعراء الشرق والغرب أما تملكون الصمت يومًا في عنان؟!

أو فهاتوا الشعر لي صِرفًا بلا أحرفٍ في الطِّرْس منه أو معان

أفرغوه جملةً في خاطري ليس لي بالطِّرس والدرس يدان

ربَّ شعرٍ شاقني لمَّا تكدْ شفتا قائله تنفرجان

---

(١) أورى الزند: أخرج ناره.

وتجلَّـى البـاب لي عـن زائـر ... مـن أودَّائـي كـأنَّا أخـوان

فتعلَّمـت ولـبي شـارد ... كيف يُكسى الود ثوب الشنآن[1]

قال لي: «الأفق جميل» قلت: لا ... بل دميم. قال: زاوٍ. قلت: قان!

قال: زيدٌ. قلت: حاشا. فانثنى ... نحو عمرٍو. قلت: كلا، بل فلان!

فمضى يعجب مني سائلًا: ... أسلامٌ؟ قلت: بل حرب عوان

•••

ذهب اليوم وما أحلكه ... كان من يومٍ نماه النَّيِّران

لم يكن في صبحه أو ليله ... حظ عين، أو لسان، أو جنان

ذاك يومٌ يا حبيبي واحد ... وغدٌ منه غنيٌ عن بيان

الحب المثال

كأنيَّ مثَّال وحسنك تمثالي ... عجائبُ حبٍّ ما خطرن على بالِ

فما أتمنَّى فيك معنًى أريده ... من الحسن إلَّا وافق الحسن آمالي

وأحلام قلبٍ فيك تسري كأنَّها ... خوالق أيدي الفنِّ في الذهب الغالي

تجول بأشكال الخيال وتنثني ... وقد أُسعدت منك العيانُ بأشكال

---

(1) البغض

إذا ما تمشَّت فيك معنى لمستها ... محاسنَ أعطافٍ ورقَّة أوصال

إذا اقترحتْ عيني فأنت مجيبها ... فهل منك أو مِنّي صياغة تمثالي؟

وما اقترحتْ إلَّا كما اقترح المنى ... غنيٌّ على وفر من الوقت والمال [1]

فما فيك من نقصٍ ولكنَّما الهوى ... نوازع شتى لا تقرُّ على حال

فيا قدرة الحبِّ المبارك أبدعي ... لكلِّ حبيبٍ في الصبا ألف سربال

وأجمل من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ ... لها زينتاها من حياة وإقبال

ساعي البريد

هل ثَمَّ من جديد ... يا ساعيَ البريد؟

•••

لو لم يكن خطابي ... في ذلك الوطاب

لم تطوِ كلَّ باب ... يا ساعيَ البريد

•••

ما ذلك التنسيقُ ... والجمع والتفريقُ

---

(١) إذا كملت نعمة الإنسان تمنَّى الأمانيَّ التي لا حاجة به إليها، إنَّما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان.

والقفـــــز والتعويـــــقُ يا ســـــاعيَ البريـــــد؟!

•••

كســـــوتك الصـــــفراءُ والخطـــــوة العرجـــــاء

يمشـــــي بهـــــا الرجـــــاء يا محنـــــة الجليـــــد!

•••

لـــــو لم تكـــــن جمـــــالا في مِشـــــية العجـــــالى

صـــــغنا لـــــك التمثـــــالا مـــــن جـــــوهر فريـــــد

•••

لا أحســـــب الســـــاعات في حاضـــــــــــر وآتِ

إلا علـــــى الميقـــــات ميقاتـــــك الوئيـــــد

•••

في شـــــرفتي أبتكـــــر غـــــيرك لا أنتظـــــر

وإن ســـــعى لي القمـــــر يا ســـــاعي البريـــــد

•••

كـــــم لهفـــــة نســـــيتها أمـــــاتني مميتهـــــا

لقيتهـــــا! لقيتهـــــا يا ســـــاعي البريـــــد

•••

جـــددتَ لي انتظـــاري وقلـــةَ اصـــطباري

عـــن طلعـــة القطـــار وطلعـــه النضـــيد

•••

أكـــرم بـــه مـــن ثمـــر منتظـــر مـــدَّخر

في كـــل يـــوم مزهـــر مبتـــدئٍ معيـــد

•••

يا طائفًـــا بالـــدور كالقـــدر المقـــدور

بالخـــير والثبـــور في ســـاعة البريـــد

•••

في لمحـــة تنتشـــر منـــك المـــنى والعـــبر

وأنـــت مـــاضٍ تعـــبر كالكوكـــب البعيـــد

•••

كـــن أبـــدًا مريـــدي بالخـــبر الســـعيد

وبابتســـــام العيـــــد يا ســـــاعي البريـــــد

عجب الساعي

عجب «الساعي» الذي كنتُ له أبـــدًا في شـــرفتي منتظـــرا

إنَّ مـــن تُحضـــر لي أخبـــاره أيهـا الساعي، بخير حضـرا

ألـــقِ إن شـــئت وِطـــابًا حـــافلًا لا أبالي لحظـــةً إن صـــفرا

الطريـــــق الآن لا أرقبـــــه لأرى وجهك، لكن لأرى ...

ولـك الشـكر، ولي العـذر، فـلا تظهـر الآن، فهـا قـد ظهـرا

لا تـــذكّرني نـــواه بعـــدما كنت تروي عنه ذكرًا عطرا

الليلة الفطيم

بكـت الليلـة الفطـيم شـجاها مـا بكـاءُ الفطـيم بـين الثـديِّ

الثـديُّ الحسـان تبغـي رضـاها مـا لثغـر الفطـيم غـير رضـيِّ؟

لـو أرادت لكـان عنـد مناهـا كـلُّ صـدرٍ، وكـلُّ نهـدٍ شـهيِّ

أمهـا! أمهـا! ولـيس سـواها ذات صـدر على الشـفاه نـديِّ

•••

ليلـــتي، ليلـــتي الحزينـــة صـــبرًا ... لـــيس هـــذا الفطـــام بالأبـــديّ

ســوف تُــروَين مــن أُمَيمــك ثغــرًا ... فارضعي الآن من دموع الشجيّ

واذرفي هــذه المــدامع غــزرًا ... ... هــل يضــير البكــاء عــينَ الصــبيّ؟

مــن أذاب الشــقاء عينيــه شــهرًا ... في ارتقــاب النعــيم غــير شــقيّ

قبلة بغير تقبيل

بعــد شــهر، أنلتقــي بعــد شــهر، ... بين جيشٍ من النواظر مَجرِ؟ [1]

لم يحولوا – وحقهم – بين روحيـ ... ـنا، وإن ألزموهمــا طــول صــبر

تمَّـــت القُبلـــة الـــتي نشـــتهيها ... كلَّهــا، غــير ضــم ثغــر لثغــر

تمَّ منهـــا شـــوقٌ، ورفَّ شـــفاه ... وهـــوى نيـــةٍ، وخفقـــة صـــدر

الحلم السالب

ســبق الكــرى يــومَ اللقــاء فنلتــه ... في غفوةٍ تُغفي العيون لكي ترى

حلــم علــى اليقظــات جــارَ فليتــه ... في جـــوره أبـــدًا يعـــود مكـــررا

لم يظلــم اليقظــاتِ فهْيَ إذا وفــت ... بلقائــه، ســلبته مــن حلــم الكــرى

---

(١) الجيش المجر: العظيم.

فـالنوم كـان بـه أحـق وأجـدرا مـا وعـده إلَّا سـعادة حـالم

والحلم المنتقم

لَّـا تملَّيـتُ في الـرؤيا محاسـنه هتفت لليل والظلماء والحلم

هذا انتقام الكرى من بطء موعده وللكرى ربَّـةٌ مشكورة النِّقم

يغـار مـن طيفـه السـاري فيمطلـني كأنما قال لي بالمطل: لا تنم!

في البعد والقرب

لـن يطيب البعدُ يومًا لـن يطيبا هـنْ عليَّ اليوم إن كنت حبيبا

لا تكـن نارًا مـن الشـوق ولا دمعـةً حـرَّى، ولا قلبًـا كئيبـا

لا تكـن صـحراء في البعـد وقـد كنت لي في القرب بستانًا رطيبا

إن تُغـب شمسًـا فـأوصِ النـوم بي قبـل أن تُعـرض عـني أو تغيبـا

•••

يا حبيبي، بـل فكـن مـا كنـت لي صـانك الله بعيـدًا وقريبـا

واجعـل الأنـسَ نصـيبي فـإذا غبت عنِّي فاجعل السهد نصيبا

كـن نعيمًـا وعـذابًا، ومُـنى تمـلأ الـنفس، وحرمـانًا مـذيبا

هكـذا الحـب دَوالَيْـكَ فمـن لم يكنـه، لم يكـن قـطَّ حبيبـا

قراءة

على كتفي تمشي بعينيك في الطِرس عجولًا إلى شعري حريصًا على لمسي

كأنَّك لم تَحمَد مدى الصوت وحدَه فسـابقته بالعـين حينًـا وبالحـسِّ

وعـانقتني تسـتوعب الشـعر حيثمـا سـرى في ثنيَّـات الجـوانح والـنفس

هنالـك أدري أن للشـعر مجلسًـا إلى جانب العرش السماويِّ والكرسي

تسلَّم

تسـلَّم هـذه الـدنيا كمـا خلَّفتهـا عنـدي

وحاسـبها علـى قـرب بمـا تجـني علـى البعـد

•••

تسـلَّم هـذه الشمـس الـتي تـؤنس أو تَهـدي

لقـد كانـت هَـداها الله مِكسـالًا مـن المهـد

تجـوب الأفـق في جهـد ومـا تسـرع بالجهـد

وكانـت تحجـب الأنـوا ر أو تبـدي فـلا تجـدي

وكانـت شـعلة حـرَّى مـن اللوعـة والوجـد

تســـــلَّم هـــــذه الأطيـــــا ... ر واســـــألها عـــــن العهـــــد

تُغـــــــنِّي الآن فاســـــــألها ... أغنَّـــت قـــطُّ لي وحـــدي؟

وإن غنَّـــــت فهـــــل كـــــا ... ن ســـوى نـــوح لهـــا مُعْـــد؟

وإن أعـــدَت فهـــل تُعـــدي ... بغـــير الشـــجو والســـهد؟

نعـــم ســـلها جزاهـــا الله: ... أيـــــن تحيـــــةُ الـــــورد؟

وأيـــــن تحيـــــة الإلـــــف؟ ... وأيـــــن تحيـــــة الفـــــرد؟

لقـــــد كانـــــت لحاهـــــا الله ... تطويهـــــا علـــــى عمـــــد

فســـــلها: فـــــيم تطويهـــــا ... وفـــــيم تضـــــنُّ أو تُســـــدي؟

•••

تســـــلَّم أنجـــــم الليـــــل ... بـــــلا عـــــدٍّ ولا حـــــدِّ

تســـــلَّمْها وكاشِـــــفْها ... بمـــــا تُخفـــــي ومـــــا تُبـــــدي

وســـــلها: كيـــــف ضـــــلَّتني ... ومـــــا ضـــــلت عـــــن القصـــــد؟

وفـــــيمَ تغـــــامزٌ منهـــــا ... إذا حـــــيَّرني قيـــــدي؟

نعـــم قيـــدي الـــذي في النفـــ ... ـــس لا في صـــفحة الجلـــد

أهـــــزلًا تهمـــــس الأنجـــــ ـــــم أم تهمـــس عـــن جِـــدِّ؟!

•••

تســـــلَّم زهـــــرك المحبـــــو ب في الســـــهل وفي النجـــــد

تـــــراه ضـــــاحك العـــــين تـــــراه ناضـــــر الخـــــد

فســـــله: مـــــا عـــــراه أمـــــ ـــــس حـــــتى لاذ بالرشـــــد

فـــــلا يلهـــــو ولا يُوصـــــي بغـــــير الهـــــمِّ والزهـــــد

فمـــــا عـــــن لومـــــه في ذا ك يا مـــــولاه مـــــن بُـــــدِّ!

•••

تســـــلَّم هـــــذه الـــــدنيا كمـــــا خلَّفتهـــــا عنـــــدي

بحمـــــــد الله تلقاهـــــــا كمـــــا تلقـــــاك بالحمـــــد

فخـــــذها راضـــــيًا عنهـــــا وعـــــني وعـــــن الـــــوُدِّ

وعلِّمْهـــــا إذا مـــــا عـــــدت لا عـــــــدت إلى البعـــــــد

أمـــــانًا في مغيـــــب منـــــ ـــــك أو في محضـــــر رغـــــد

فمـــــا تســـــمع لي قـــــولًا إذا ناجيتهـــــا وحـــــدي!

الفنجان

أتـؤمن بالفنجـان! لا يا صـديقتي ... بثغــرك لا الفنجــان أصــدق إيمــاني

إذا هـو أعطـاني السـعادة فلتكن ... نبوءتَها في الكـأس أو سـؤر [1] فنجـان

وإن يكـن المغـزى هنـاك خرافـةً ... فثغــرك صِــدقٌ في ابتســامٍ وتبيــان

في كـوثريٍّ مــن رضــاب معطـر ... وفي جــوهريٍّ مــن ثنــاياه فتَّــان

قُرْبَى

تقــــــربي لله بالــــــدعاء ... وأنـت قُـربَى الأرض للسـماء

لــيس مكــانٌ في الســماء كلِّهــا ... عـن شـاعرٍ أو عاشـقٍ بِنَـاء

ربَّ صــــلاةٍ علَّمــــت مصــــليًا ... إجابــةَ الصــلاة والرجــاء

ورفعــت مــن طينــة الأرض إلى ... عـرش الضـياء سـلَّم ارتقـاء

كأسُ وُضوءٍ

هنا – ويا حسن ما ضمَّت هنا – قدحٌ ... تُغـوي قلـوب العطاشـى أيَّ إغـواء

في كــلِّ قطــرة مــاءٍ ههنــا أثــر ... من قالب الحسن في روح وأعضاء

مــرَّت بقــدِّك تحكيــه، وربَّمــا ... حكى الوضوءُ جمالَ الروح في الماء

---

(1) السؤر: ما يبقى في الإناء.

فلــو تعــود كمــا لامســتها رسمــت ... مثالـك المفتـدى في مهجـة الرائـي

تطهَّــرتْ بــك لَّــا أنْ طَهُــرت بهــا ... عنـد المُصلَّى، وزادت حسـن إيمـاء

وصافحت منك تقوى الروح في جسد ... يغــزو التقــاة بأشــواق وأهــواء

هــذي خلاصــةُ إنســان مقدســةٌ ... ليسـت خلاصـةَ أعنـابٍ وصـهباء

أمخطــئٌ أنا إن أحسســتُ في كبــدي ... شـوقين مـن نشـوةٍ فيهـا وإرواء؟

فكــم أغالــب مــن إغــراء ســكرتها ... مــا لا يغالبــه ظمــآنُ صــحراءِ

تنــازع الــدينُ والغَــيُّ الهُيــامَ بهــا ... وقربــت بــين إســعاد وإشــقاء

فليــت شــاربها يــدري أحصــته ... عند الخضيراء أم عند الحميراء؟[1]

خـوفي – ويا طـول خـوفي – أن تمـزقني ... كلتاهمـا يـوم إحيـائي وإحصـائي!

رقية السهر

تجلَّــت آيــة الكرسيــْ ... ــيِ، مــا أعــلاه كرســيًّا!

أظــلَّ ســباتها عينيــْ ... ــيَ حــين لمســت عينيــا

أتــرقين مــن الســهد ... ومــا أبغــي لــه رقيــا؟

---

(1) الخضيراء: كناية عن الجنة الخضراء، والحميراء: كناية عن جهنم الحمراء.

سـرورًا بـك هجـراني الـ ـكرى المحبـوب والـرؤيا

دعـي الرقيـة للسـهد الـ ـلَذي يدعونـه نأيا

وللنـوم الـذي ألقـا ك فيـه حـين لا لقيـا

المنديل

تعاشـق لُحْمَـةً (١) وَسَـدى ورفـرف خافقًـا غـردا

وآخـتْ طُـرَّتاه (٢) يـدًا علـى عهـد الهـوى ويـدا

وقبـل النسـج كـم سـاغ الصـ ـصَفاء سـحابة ونـدى

وناغـى الطـيرُ صـاحبَه علـى شـجراته، وشـدا

وعاشـت في الرضـى شـجرا تـه مخضـرةً أبـدا

فيـا منـديل لا تـبرح بعهـد الحـب منعقـدا

عريـقٌ أنـت يا منديـ ـل روحًـا فيـه أو جسـدا

إذا صـنت الوديعـة لي فـلا بـدعًا ولا فنـدا

وإن تحفـظ أمانتَهـا حفظتُـك أنـت مجتهـدا

---

(١) لُحْمَةُ الثوب: ما نسج عرضًا، وسَداه: ما امتد من خيوطه.

(٢) الطُرَّة: طرف كل شيء وحرفه.

سنســأل عــن شــذاك غــدًا ... وبعـــد غـــدٍ، وإن بعـــدا

فصـــنْ ســرَّ الســؤال لنـــا ... ولا تخـــبر بـــه أحـــدا

•••

مـــن الكتـــان يا نسَّـــا ... ج، فانسـج كـل مـا خلـدا

وعَـــى خُلْـــدَ الفـــراعين ... وزان عروشـــهم أمـــدا

ومـــن يـــرضَ الحريـــرَ بـــه ... بـــديلًا ســـاء مـــا اعتقـــدا

فمـــاذا تَنســـج الديـــدا ... ن مـــن ذكـــرى لمـــن ســـعدا؟

ومـــا الديـــدان والـــذكرى؟ ... ومـــن ذكَـــر اسمَهـــا جمـــدا! [1]

هـــو الكتَّـــان يا نسَّـــا ... ج، فانســـج منـــه منفـــردا

•••

بيـــومٍ كـــان للمنديـــ ... ـــل قـــدِّس لُحْمـــةً وسَـــدى

وقـــدِّس قبلـــه مـــن أنـــ ... ـــبت الكتـــان أو حصـــدا

وقـــدِّس مثلـــه مـــن قـــا ... م عنـــد النَّـــول أو قعـــدا

---

(١) الحرير من نسج الديدان، وهي تذكِّر الإنسان بالموت والقبر؛ فيجمد من يذكرها خلافًا لمن يذكر الكتان، فإنه يذكر الخضرة والطير والشدو والحياة.

وقـــدِّس كـــل مـــن نادى بـــه في الســـوق، أو شـــهدا

حلم اليقظة

أيـــن مضـــى الحلـــم الـــذي كنـــــــت أراه ههنـــــــا

إذا صـــــحوت والتفتـــــْ ـــتُ عـــن شمـــالي مَوْهنـــا (١)

•••

كنـــتُ إذا مـــا قطَّعـــتْ نـــومي صـــحواتُ الســـهر

غبطـــتُ عيـــنيَّ وأغـــْ ـــضيتُ عـــن النـــوم النظـــر

•••

وكـــان عنـــدي حلمًـــا في يقظـــة الليـــل المديـــد

أسمـــعُ مـــن أنفاســـه نســـمةَ فـــردوس بعيـــد

•••

أســـعد ممَّـــا في الكـــرى مـــن راحـــة ومـــن أمـــل

ومـــن خيـــال لا يحـــدْ دُ ومعـــــانٍ لا تمـــــل

فـــالآن أبشـــر يا كـــرى! كـــلُّ جفـــوني الآن لـــك

---

(١) الوهن والموهن من الليل: بعد منتصفه أو بعد ساعة منه.

حـــتى أعـــود فـــأرى في جـــانبي ذاك الملـــك

ليلة

بيـــني وبينـــك ليلـــة يا ليلـــة القـــرب الأمـــين

يا حبـــذا لـــو تسرعيـــ ـــن، وحبـــذا لـــو تطفـــرين!

وإذا أتيـــت فحبـــذا لـــو تَلْبَثِـــينَ فتَخْلُـــدِين!

عروس الليالي

عروس الليالي تهبط اليوم من علِ وتدنو على طول النوى والتدلَّل

سَرَت بين شرقٍ من ضياء ومغربٍ وبين جنوب من ضياء وشمأل

كأني أراها من دُهور بعيدة لطول اشتياق وجهها وتأملي

فيا ليلةَ القدر المؤمَّل أقبلي! تعالَيْ أُقبِّلْ منك كلَّ مُقبَّل

خذي لك جثمانًا يضمُّك عاشق قليلٌ لديه صورة المتخيل

وتيهي بوجهٍ من صباحك مشرقٍ وميلي بفرعٍ من مسائك مُسْبَلِ

سأبديك شعرًا يملأ السمعَ شدوُه إذا ضنَّت الدنيا بجسمٍ ممثَّل

ثَرْثَارَة

أراكِ ثَــرْثَارَةً في غــير ســابقةٍ فهاتِ ما شئت قالًا منك أو قيلا

ما أحسنَ اللغوَ من ثَغرٍ نقبّله إن زاد لغــوًا لنــا زدناه تقبــيلا

ثروة النصيب

منَّيتـــــني بالثـــــروة الجلـــــل وبنيـت لي دارًا علـى عجـل

وإذا «النصـيب» أصـابني احتفلـت داري بحسـنك كـلَّ محتفـل

حســـبي إذا عـــز البنـــاء غـــدًا في سـاحة بالسـهل والجبـل

دور تؤسســـــــها وتعمرهـــــا في سـاحتين: الحـب والأمـل

قرنفلك

قرنفلــك الــذي يحكيــك حســنًا أتعلم أنه يحكيك سمتًا؟ (١)

تَعـــــدَّدَ لونُـــــه فتجنبـــــوه علـى حـذرٍ، ولم تحـذره أنتـا

لـــه عطـــر شـــبيهُ هـــواك فـــردٌ وألـوان مـن الإحسـاس شـتَّى

---

(١) السمت: الطريق، وهيئة أهل الخير.

النجوم السواغب

أرى أعينًا قد وصوصت في سمائها ... أتلك النجوم الناظرات سواغب؟

موائد حب تشتهيها ودونها ... مصاعب لا تجتازها وغياهب

نعمت بها في ليلتي، وهي فوقنا ... تمد لها ألحاظها وتراقب

ومسكينة هذي الكواكب في الدُّجى ... ومسكينة تلك الورود الشواحب

فهاك خذي من سؤر ما أنا شارب ... ثمالةَ كأسي كلَّها يا كواكب

وخذ يا نسيمَ الليل عشرين قبلةً ... وخذ مثلها يا روضُ إنك غاضب

غنيٌّ أنا بالحبِّ، عاش الذي به ... غنيت، وإنِّي إنْ غنيت لواهب!

النيل الغاضب

أساهمٌ [1] يا نيل؟ لست أدري ... أم ناقمٌ يا نيل طولَ هجري؟

فربَّ شهرٍ مرَّ بعد شهر ... وعامِ سوءٍ بعدَ عامِ شرِّ

ولا بشفعٍ زرتُ أو بوترِ

•••

لاقيتني يا نيل والحبيبا ... كما تلاقي طارقًا غريبا

---

(١) سهم وجهه: عبس وتغير.

وزدتنـــا كيـــدًا لنـــا مُريبـــا، أغريـــت يا نيـــلُ بنـــا الرقيبـــا

يكاد يحصي سرَّه وسري

•••

وكيـــف يا نيـــلَ إليـــك حجِّـــي ولم أكـــن أخـــاف أو أرجِّـــي؟

بـــل كيـــف يَهـــديني إليـــك نهجـــي وقد هوى نجمي وضلَّ برجي؟!

وعزَّ قرباني ولا ح عذري؟

•••

ذاك الـــذي كنـــتَ معـــي تـــراه غـــيري إليـــك ربَّمـــا دعـــاه

فقـــد هـــداني كـــاهن ســـواه إليـــك يرعـــاني كمـــا أرعـــاه

بعد ضلال في الهوى وخسر

•••

يا نيـــل أمـــا الآن فـــالمزار عندي له المنسك [1] والشعار

فـــلا يغيـــب في الـــدجى نهـــار أو ينجلـي عـن بـدرنا السـرار

إلَّا سرينا لك حين يسري

•••

(١) مناسك الحج: عباداته. وشعائره: علاماته ومناسكه أيضًا.

يا نيـــل فاشـــغل حولنـــا العيـــونا إذا وردناك مســـــــــبحينا

تلـــك عيـــون تكـــره الســـكونا ومـــــن يحبـــون ويســـعدونا

لا رضيتْ عني ولا عن بدري

نجوى النجوم

بحســـــبي الأنجـــــمُ الزُّهـــــر فـــــلا شمـــــسٌ ولا بـــــدرُ

ترينـــــا عزلـــــة النجـــــوى ففيهـــــا للهـــــوى ســـــر

وفي لمحتهـــــــا همـــــــس كمـــــا يبتســـــم الثغـــــر

كهمـــس الشـــيخ قـــد سُـــرَّ بأحفـــــاد لـــــه سُـــــرُّوا:

خـــذوا الـــدنيا خـــذوا الـــدنيا وغِـــرُّوا العـــيش واغـــترُّوا

دريـــــت الحكمـــــة الكـــــبرى فـــــأدراكم هـــــو الغـــــرُّ

بحســـــبي الأنجـــــمُ الزهـــــر فـــــلا صـــــبحٌ ولا فجـــــرُ

ســـــواحر تنبـــــئ الأحبـــــا ب، والليـــــل لهـــــا ســـــفر

رصـــــينٌ صـــــوت نجواهـــــا وديـــــعٌ حولهـــــا الـــــدهر

لهـــــا ســـــتر ومـــــا للشمـــــ ـــس أو بـــدر الـــدجى ســـتر

لهـــا الشـــكر فقـــد ســـرَّت حبيـــبي، ولهـــا الفخـــر!

كلماتي

كلمـــــــاتي! كلمـــــــاتي! صـــدق الوعـــد فهـــاتي

هـــل معيـــني وحيُـــك الصـــا دقُ أو وحـــيُّ اللغـــات؟

أنا أســـــتأديك [1] مـــــا لم تبلغيـــــــــــه بأداة

مـــــن معـــــانٍ تتعـــــالى عـــن لســـان ولَهَـــاة [2]

فاســـألي الأرباب عـــن تلـــ ـــك المعـــاني الخالـــدات

أو ســـلي الصـــمت فكـــم صمـــ ـــتٍ لـــه علـــمُ ثِقـــاتِ

ينتهـــي شـــأو الأحاديـــ ـــث إليـــه والـــرواة

وبـــــــه لاذ هـــــــداة عرفـــوا وحـــي النجـــاة

انظـــــري يا كلمـــــاتي وأصـــــــيخي في أناة

مـــا ضـــياءٌ ثَمَّ في الأفـــ ـــق، وفي كـــلِّ الجهـــات

لا مـــــن الأرض ولا مـــــن دارة الأفـــــــــلاك آت

---

(١) استأداه الشيء: طلب منه أداءه.

(٢) اللَّهاة: لحمة مشرفة على الحلق.

لا تـــــراه غـــــيرُ عيـــــني وهـــو مـــلء الكائنـــات

هـــل يـــرى الـــدنيا امـــرؤ لم يَـــرَ منـــه قبســـاتِ؟

كلمـــــاتي أنـــــت في وا دٍ مـــن التيـــه شـــتات [1]

اســـــألي الأرباب عنـــــه أو ســـلي الصـــمت وهـــاتي

•••

كلمـــــاتي مـــــا تقـــــولي ـــــن إذن يا كلمـــــاتي

مـــا نعـــيمٌ يمـــنح الكفـــْ ـــفَ غـــذاء المهجـــات؟

تقصـــــر الألبـــــاب عنـــــه وهـــو بعـــض اللمســـات

في يـــدي أدعـــوه خصـــرًا تارة أو زهـــــــــرات

في فمـــــي أدعـــــوه ثغـــــرًا تارة أو قـــــــــبلات

وفـــؤادي؟ مـــا اســـم مـــا فيـــ ـــــه إذن يا كلمـــــاتي

اســـــألي الأربابَ عنـــــه أو ســـلي الصـــمت وهـــاتي

•••

---

(١) الشتات: المتفرق.

نشـــوات تلـــك؟ لا بـــل تلـــك فـــوق النشـــوات

يقظـــات تلـــك؟ لا بـــل تلـــك غـــير اليقظـــات

بلغـــت منهـــا مـــداها وارتقـــت مرتفعـــات

تســـلس اليقظـــة للوصـــ ـــف وتُصـــغي وتـــؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها لزمـــت صـــمت الســـبات

كلمـــاتي! مـــا تقولـــ ـــين إذن يا كلمـــاتي؟

اســـألي الأرباب عنهـــا أو ســـلي الصـــمت وهـــاتي

•••

لحظـــة تمـــنح قلـــبي كـــلَّ هاتيـــك الهبـــات؟

لحظـــة ترفـــع عمـــري حقبًـــا متصـــلات؟

ربَّ عمـــرٍ طـــال بالرفـــ ـــعة لا بالســـنوات

لحظـــة؟ لا بـــل خلـــود لاح بـــين اللحظـــات

كالســـماوات تراهـــا مـــن شـــباك الحلَقـــات

ربَّ آبادٍ تجلَّـــــــــــــت مـــن كـــوى (١) مختلفـــات

وقُطـــــــــيرات زمـــــــان مـــــلأت كـــأس حيـــاة

وإذا مـــــا طغـــــت الكـــــأ س فقـــــل في الســـكرات!

ســـــكرة تُغشـــــى وأخـــــرى تغتلـــــي بالصـــــحوات

هكـــــذا بتنـــــا رفيقيـــــ ـــــن لزيمَـــــيْ لثمـــــات

غائـــــب غـــــافٍ، وصـــــاحٍ لحفيـــــف الهمســـــات

كلمـــــاتي! مـــــا تقوليـــــ ـــــن إذن يا كلمـــــاتي

اســـــألي الأرباب عنَّـــــا أو ســـلي الصـــمت وهـــاتي

•••

أيـــن أمـــلاكٌ علـــى أبـــ ـــــراجها المطَّلعـــــات؟

تصـــقل الآفـــاق في الليـــ ـــــل وتجلـــو النـــيِّرات

لا أرى الـــدنيا علـــى نـــو ر الليـــالي الغـــابرات

أيـــن؟ لا بـــل نـــدع الدنـــ ـــــيا وراء الحجـــــرات

نـــورنا الليلـــة مصـــبا ح وليـــد اللمحـــات

---

(١) جمع كوة، وهي فتحة في الحائط.

غـــــضَّ جفنيـــــه حيـــــاءً ... مـــن غضـــيض النظـــرات

شـــــــفقيًّا أو فقـــــــل إن ... شـــئت فجـــريَّ الســـمات

عَسْـــــــجَدًا بارك حســـــنًا ... عَســـــجديَّ البركـــــات

ســـبَّحت عيـــني ونفســـي ... ويـــــدي في غمـــــرات

في كنـــــوز منهمـــــا أيِّ ... كنـــــوز مغنيـــــات

ثـــــروة أنفـــــق منهـــــا ... لحيـــــاتي ومـــــاتي

ولبعثـــــي يـــــوم أن تبـــــ ... ـــعث في الطِـــرس وصـــاتي

كلمـــــاتي! مـــــا أراك الـــــ ... ـــــيوم إلا خـــــاذلاتي

عنـــــك أغنتـــــني كنـــــوزي ... وكنـــــوزي مهلمـــــاتي

•••

سمعتْـــــــني كلمـــــــاتي ... واســـــتعادت دعـــــواتي

ثم قالـــــــت في حيـــــاء ... كالعـــــذارى الخَفِـــرَات:

باح لي الصـــــمت ولكـــــن ... فـــــاتني أيَّ فـــــوات

قـــــال: ســـــاموكِ عســـــيرًا ... في التمـــــنّي يا بنـــــاتي

ارجعـــــــي، ثم أعيـــــــدي ثم عـــــودي صـــــاغيات

مـــــــرة أو عشـــــــرات وإذا اسْـــــطَعتِ مئـــــات

مـــا بـــدرسٍ واحـــد تـــو فـــين هاتيـــك الصـــفات

هكـــــذا يا شـــــاعري ألـــــ ـــــهمني الصـــمت فهـــات

هاتهـــا وافـــرح بإحســـا ني وراقـــب حســـناتي

لا يبـــــوح الصـــــمت إلَّا درجـــــاتٍ درجـــــات

•••

كلمـــاتي! صـــدق الصمـــ ـــت، أجـــل يا كلمـــاتي

غـــير أنِّي لا أعيـــد الـــ أمـــــس إلا بصـــــلاة

مرجـــع الأمـــر لمـــن ضمـــ ـــمَت رجـــائي وشـــكاتي

يملـــك العـــودة مـــن أحـــ ـــيا مـــن الأرض المـــوات

فـــابعثي الصـــمت إليهـــا في خشـــوع وتقـــاة

ربمـــــا أعطـــــتْ وإن لم تســـــألي يا كلمـــــاتي

يوم يبحث عن ذكراه

يومٌ بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه، فإذا اليومُ الذي خطر فيه هذا الخاطر هو يوم الذكرى بعينه، فكانت مصادفةً من أعجب المصادفات:

لم يطوِهِ الزمن الماضي ولا احتجبت ... في ذمة العام بعد العام سيماه

خلنـــاه في الغيـــب منســـيًّا فـــذكَّرنا ... بنفســـه اليـــومُ في إلهـــام نجـــواه

قمنـــا لنبحـــث عنـــه في صـــحائفنا ... فكـــان مـــيلاده ميعـــاد ذكـــراه

يا يـــومَ أوَّلِ لقيـــا بيننـــا عرضـــت ... ثم انطوى عهـدها حتَّى بعثناه

نعـــم بعثنـــاه في حـــبِّ إذا ذهبـــت ... مزيـــة العمـــر لم تـــذهب مـــزاياه

مبـــاركٌ يـــومُ عيـــدٍ في عواقبـــه ... لم يسْـهُ عنَّـا ومـا كنَّـا لننسـاه

لمـــا بحثنـــا لنلقـــاه ونـــذكره ... إذا بـــه باحثًـــا عنَّـــا لنلقـــاه!

ســرٌّ مــن الله في رُوحــيْن مــا برحــا ... مــن قبــل لقياهمــا يرعاهمــا الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسي فلم تبلغ الذَّرى ... من الحب فارفعها، وكن أنت عاذرا

فللحبِّ أوجٌ في العلا قلَّما ارتقى ... بنـــو الأرض إلَّا مرتقـــى منـــه نادرا

وددت لـــو اني لا أفـــارق أوْجَـــهُ ... ولا أستوي في الأرض، لو كنت قادرا

ولكنَّها حربٌ مع الدهر لم يزلْ بها القلب مقهورًا هناك وقاهرا

فلا تحسبِ القلب المشرَّد غاضبًا ولا عاتبًا، واحسبه أَسْوانَ حائرا

وإن تكُ يومًا في الصعود مؤازري أكن لك يومًا في الصعود مؤازرا

ولست على مثواي في الأرض نادمًا إذا كنت لي نجمًا على الأفق سافرا

سحر السراب

هذا سرابكَ جنةٌ تُغري يا فاتني بالقرب والذكر

صحراء بُعدك ما خلت أبدًا من كوثر في أفقها يجري

لكنه يُغري وليس به رِيٌّ، وعندك جُنَّة النهر

وإذا السراب خَلَت كواثره من مائها لم تخلُ من سحر

فافتن بذاك وذاك يصفُ لنا أمن المقيم، ولهفة السَّفْر [1]

عالمنا

في الحبِّ والشعر والإخلاص عالمنا دعنا من العالم الموبوء بالدنس

([1]) السفْر: المسافرون، والمعنى: إن في البعد سحرًا كسحر السراب الذي يفتن بالشوق والأمل ولكنه لا يَروي، وإن للقرب فتنةَ الرِّيِّ ولكنَّه لا لهفة فيه، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة ولذة السفر.

إذا نظرت حوالينا فلست ترى إلَّا السموات في مرأى وملتَمس

هجو

هجوتك في بيتين جهدي فلا تخف وسلني، فإني قائل لك بيتين

أقول: رعاك الله إنك محنة وطول عناء حين تَغرُب عن عيني

وقلت – وما أتممت بيتين: إنني شقيٌّ بما ألقاه منك على البين

هجوآخر

هذا الدلال علاما؟ أكان حتمًا لزاما؟!

تغيب عنِّي فيمسي يومي من الدهر عاما

وإن سمحت بقربي قصَّرت لي الأياما

تُزهى بهذا، فهلَّا خشيت فيه الملاما؟

الوساوس

أنا ساهرٌ والليل دامس ويل المحبِّ من الوساوس

ومن الغد الخافي وما من زحفه المأمون حارس

ومن الذي بالأمس كا ن، وريبه في الصدر هامس

ومـــن الـــذي تخفيـــه تلـــ ـك الأعين السود النواعس

ترنـــو إليـــك وخلفهـــا في القلب سرٌّ عنك خانس

ودع الغيـــاب ومـــن يجـــا لس في الغياب ومن يؤانس

ودع الحفـــول ومـــن يـــرا قص في الحفول ومن يلامس

يا لهفتـــا إن قيـــل لا هٍ بينهم أو قيل عابس!

هـــذا وذاك كلاهمـــا راضٍ بـــه قلـــبي وبائـــس

•••

لا تنـــأ عـــنِّي إنَّ لي في كـلِّ نَأْيٍّ ألـفَ هـاجس

هـــي مـــن شـــياطين الظـــلا م وأنت مثل الصبح شامس

أشـــرق عليهـــا ينصـــرف منهـــا المســـالم والمشـــاكس

لا ضـــير عنـــدي أن تعيـــ ـش إذا انجلى ليل الوساوس

رجاء اللقاء

رجـائي بأن ألقـاك بـدد وحشـتي فكيف إذا أمسيت أنت مؤانسي؟!

أراك فتنجـاب الوسـاوس كلَّهـا وأنـت إذا مـا غبـت كـلُّ وساوسـي

شكوك العاشق

رأى ابنًـــا في الكـــرى زهقـــا فهـــبَّ مروعًـــا قلقـــا

يضـــــم وليـــــده ثقـــــة وينســـــى أنـــــه وثقـــا

ويخفـــــق قلبـــــه فزعًـــــا ويفـــــزع كلمـــــا خفقـــا

إذا مـــا خـــاف ذو شـــغف فـــذاك المـــارد انطلقـــا

•••

كـــذاك الشَّـــكُّ في قلـــبي إذا مـــا طـــاف أو طرقـــا

أكذِّبـــــــه، ويحـــــــزنني كـــأنَّ نـــذيره صـــدقا

فـــديتك لا تعـــدِّي الحـــز ن مـــن ذنـــبي ولا الفرقـــا

فمـــا لي بالخيـــال يـــدٌ إذا مـــا خـــال أو خلقـــا

يوســـــوس لي فأسمعـــــه كـــذلك كُـــلُّ مـــن عشـــقا!

صفقة مغبونة

أُراني في غرامـــك لا أُجـــازَى وإن جـــازيتني حبًّـــا بحـــبِّ

ألم يسـع الزمـانَ الرحـبَ قلـبٌ وَهْبتَكَـهُ، وقلبك غير رحبِ؟

فكيف وعند قربك لي شريك ... وما لك من شريك عند قربي؟

جهلت الحب إن أعطيتُ قلبًا ... يقيم على الوفاء، بنصف قلبِ

بلدي

أَمْحَلَ الدَّهرُ واطَّردْ ... لا خميسٌ ولا أحد

لا انتظارٌ لموعدٍ ... أو هُيَامٌ بمن وعد

كُلُّ أيامنا تسا ... وين في الوسم والعدد

صبحها مثل ليلها ... والتقى أمسها بغد

تُنقِص العمرَ كلَّها ... وبها العمرُ لم يُزد (١)

لم تزد ماضيًا وقد ... نقصت مقبل الأمد

قد رجعنا كما بدأ ... نا فما الخوف والكمد؟

كان لي الحزن موطنًا ... فتباعدتُ، فابتعد

ثم عدنا فهل ترى ... واجدًا خاف ما وجد

بلدي أنت بي أبرُّ، ... فلا بنتَ ولا بلد

---

(١) يوم السعادة الذي يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر، ولكنه يزيد في ثروة الماضي، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده في ماضٍ أو حاضر.

ميناء قلب

نَمْ قريـر العـين والـنفس فمـا لك في قلبي سوى الحب الطهور

أنا إن لم أكـرم الصـاحب في غيبـةٍ، إني إذن جِـدُّ كفـور

•••

أنـت مينـائي إذا البحـر طغـى واكفهرَّ الليـل، واستعصى العبـور

هـب بـه بعـض صـخور أتُـرى أنقـض الأسـوار حـولي والجسـور؟!

لا وحـبي! بـل قصـاراي إذن أنـني أعـرف هاتيـك الصـخور

فـإذا جاورتهـا جاوزتهـا غـافرًا مـا شـئت، والحـب غفـور

بـل أُراني شـاكرًا لا غـافرًا وشـبيهان غفـورٌ وشـكور

•••

نم قريـر العـين والخـاطر يا أكـرم الأحبـاب في الـدنيا الغـرور

لا تخـف في الغـد شـرًّا مـن أخ ودَّ لو ينجيك من ماضي الشرور

في أمـانٍ أنـت مـنِّي وأنا في أمـانٍ منـك، والـدَّهر يـدور

أنا أدرى بـك مـن نفسـك يا طـاهر النيـة في كـلِّ الأمـور

إنمـا تخطـئ مـن حـب إذا ... أخطـأ الإنسـان مـن غـشٍّ وزور

ويـح قلـبي أنا إن أحزنـت مَـن ... هـو في الحـب علـى الحـزن صـبور

كم قسا منِّي وكم جار الهوى ... والهـوى منـك رحـيم لا يجـور

لـك مـن عطـفٍ شـفيع دائـم ... وشـفيعي عنـدك الوجـد الثئـور

نمْ قريـر العـين والخـاطر لا ... قـرَّ ذو ضـغنٍ ولا نامَ غيـور

خـلِّ جهـلَ النـاس في ظلمائـه ... واجـلُ لي حبَّـك نـورًا فـوق نـور

فوق الحب

صـاحبي مَـن سـرورُه وسـروري ... في صـفاء الزمـان يلتقيـانِ

وصـديقي مَـنِ اسـتجدَّ سـرورًا ... مـن سـروري، وإنْ تنـاءى مكـاني

وحبيـبي مَـن قلبـه كيفمـا كـا ... ن، وقلـبي في الشـجو يسـتويان

فالـذي يرتضـي العـذاب لأرضَـى ... كيف أدعوه؟ ما اسمه في البيان؟

ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الـ ... ـحبِّ شيء يرجى من الإنسان

ذاك فيـه مـن صـبغة الله سـرٌّ ... جـلَّ عـن صـبغة الوجـود الفـاني

سريان روح

لا تسلني متعبٌ أنت فما ... تتعب الأرواح في عُليا السماء

بجناحين من الحبِّ ومِن ... حسنك الخافق، ينقاد الفضاء

طرت لا أشكو المدى من تعبٍ ... حين صاحبتك في ذاك المساء

لم أكن ألمس أرضًا إنما ... كنت أسري حين أمشي في ضياء

توكيد

أحدِّث نفسي بالفراق وأخشاه ... كما تقذف الأمُّ الوليدَ لتلقاه[1]

هو الشيء لا تدري بفرط وجوده ... ولا حبه إلا إذا غاب مرآه

جواز الحياة

قالت: جوازك؟ قلت: هاكِ! ... حبٌّ أنالُ به رضاكِ

فدخلت في خدر الحيا ... ة وراء ألفاف الشباك

أبرزْ جوازك تقتسم ... دار الحياة على اشتراك

أو لا فأنت ببابها ... أبدًا تحوم بلا فكاك

---

(١) الأم إذا قذفت ابنها في الهواء ثم تلقَّفته شعرت بالخطر عليه ثم شعرت به بين يديها، فكان في ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه.

دعـني أثـوب إلى العـرَّاف أسـأله فالحـب علَّمـني صـدق الأسـاطير

جـلا عجائـب دنيـا لا نظـير لهـا في زعـم مُختلِـقٍ أو وهـم مسـحور

فإن أبِتْ مؤمنًا بالسحر لا عجبٌ هذا هو السحر في حسِّي وتفكيري

علم الحب

إذا ساءت الدنيا ففي الحبِّ مهرب وتَحسُن دنيا من أحاط به الحب

فبالحب تدري الحسن والقبح عندها وفي الحب علم لا تعلِّمه الكتب

الثوب الرشيد

فرحـــات قلبـــك بالجديـــد مـــن فرحـــة الطفـــل الســـعيد

أخجِلـــتَ بالثـــوب الرشيـــ ـــق وأنـــت صـــاحبه الفريـــد؟

هـــو لا يعـــاد فمـــا لقـــدِّ ك مـــن معيـــد في القـــدود

خـــلِّ الحيـــاء لمـــن يلـــو مـــك واحـــلُ أنـــت كمـــا تريـــد

أولى بالاســـــتحياء مـــــن عـــذل الجمـــال علـــى المزيـــد

كـــلُّ الثيـــاب لمـــن يزيـــ ـــن ثيابـــه عـــفٌّ حميـــد

فـــافرح بحلتـــك الجميـــ ـــلة فالجميـــل هـــو الرشـــيد

لـــو ترتـــدي ثـــوب الوقـــا ر وهيبـــة العمـــر المديـــد

للبســـــتها فرحًـــــا بهـــــا كالطِّفـــل في الـــزِّيِّ الجديـــد

عمر شعر

شـعري القـديم عشـقته وحفظتـه وحَيَيْـتُ فيـه حقيقـةً وخيـالا

وجديـد شـعري إن نظمـتُ فإنَّمـا لك بِتُّ أنظمه، وفيك توالَى

فكـأنَّ حـبِّي كـان عنـدي كلـه رهنًـا بحسـنك مبـدأ ومـآلا

فاحرص على قلب أباحك ماضيًا منـه وحاضـره والاسـتقبالا

الحياء في الحب

صنْ من حيائك ما يذكِّرنا على طـول التـآلف أنَّنـا جسـمان

واخلـع حيـاءَك يـوم يُنسـى أنَّنـا قلـبٌ تفـرَّد مـا لـه مـن ثان

الحـبُّ أجمـع حـين تعلـم سـرَّه في ذلـك التِّـذكار والنسـيان

قلـبٌ يرفـرف في جـوار قرينـه لا القلب مبتعد، ولا هو فان

متفـرقَيْن ليعطيـا، فـإذا التقـى حظَّاهمـا فسـروره ضـعفان

ويلـذُّ بالثمـر الجديـد كلاهمـا كالحور تحت عرائش الرضوان

عتاب

أيهـــا المـــانع الرســـائلَ عـــنِّي ... هـل يكـون الوفـاء كُتبًـا بكتـب؟

هَبْ ردودي أبطأن عنك، فقل لي: ... مَن أقالَ البريدَ مِن كلِّ ذنب؟!

لا التحـدي ولا التشـاغلُ يُرضَـى ... مـن حبيـبٍ مُعاتـب، أو مُحـبِّ

ضـامنٌ أنـت إن تسـلَّفت عـذري ... حسن ظن بالود، أو حسن عتب

لقاء شَجِي

هل عجبٌ في الحب برح الأسى ... بعـد ابتهـاجي بلقـاء الحبيـب؟

هاتيك نفسي استجمعت نفسها ... فابسط لها عذر اللبيب الأريب

لا تجمـــع الأنفـــس أجزاءهـــا ... مـا بـين نابٍ حولهـا أو مجيـب

إلا أطالـــت نظـــراتٍ لهـــا ... فيمـا بـدا منهـا وفيمـا يغيـب

يا رحمـــةً للقلـــب مـــن نشـــوة ... يشـابه النشـوان فيهـا الكئيـب

مولد أو نشوء وارتقاء

زانَـــــك الله بصـــــفو ... وســـــلامٍ يا شـــــتاءُ

طـــالَ بي فكـــر الليـــالي ... أوَمـــا فيـــك عـــزاء؟

قـــال لي: هـــاكَ فخـــذها ... زهـــرةً مـــنّي إليـــكَ

ذات حســـــن وحيـــــاء ولهـــا فضـــل لـــديك

وُسِمَـتْ بالفكـر (١) فـاقبسْ فكـــــرةً في راحتيـــــك

قلـــت: حقًّـــا يا شـــتاء هـــي حســـن وحيـــاء

غـــير أني، وهـــي صـــمت، لـــيس لي فيهـــا عـــزاء

•••

قـــال: يرضـــيك إذن شـــا دٍ مـــن الطـــير مُجيـــد

هـــو للجنـــة (٢) يُـــدعى ولـــه منهـــا نشـــيد

يعشـــــق النيـــــل وإن لم يـــــك فيـــــه بوليـــــد

قلـــت: حقًّـــا يا شـــتاء هـــو حســـن وغنـــاء

غـــير أني، وهـــو صـــوتٌ، لـــيس لي فيـــه عـــزاء

•••

قـــال: يرضـــيك إذن ســـا رٍ مـــن الـــبرق بشـــير

---

(١) المقصود – كما يظهر من هذا الوصف – زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسية، وهي كلمة ترادف بالفرنسية كلمة «فكرة»، وتظهر هذه الزهرة في الشتاء.

(٢) عصفور الجنة.

يصـــدع الظلمـــاء، يُزجـــي عـــارض الغيـــث، ينـــير

فيـــه مـــن قلبـــك نـــبض ومـــن اللمـــح سمـــير

قلـــت: دعـــني يا شـــتاء مـــن شـــعاعٍ في فضـــاء

أَئِـــذا جـــاد بغيـــث كـــان لي فيـــه عـــزاء

•••

قـــال: والشـــمس؟ فمـــا ظنـــْ ـــنُك بالشـــمس ذكـــاء (١)

كلمـــا عـــدتُ بهـــا سبـــْ ـــبَح عشَّـــاق الســـماء

فيـــك منهـــا لمحـــة حـــرْ رَى وطهـــر وضـــياء

قلـــت: حقًّـــا يا شـــتاء هـــي نـــور ورجـــاء

غـــير أَنِّي، وهـــي صـــبح، مـــا عزائـــي في المســـاء؟

•••

قـــال لي: أنفـــدتُ كنـــزي كلَّـــه بـــين يـــديك

غـــيرَ ذُخْـــرٍ مـــن بـــني الإنـــ ـــسان أُبقيـــه عليـــك

فيـــه مـــن صـــبح ومـــن ليـــ ـــل قُصـــارى غايتيـــك

---

(١) في أساطير الأقدمين أن الشمس تولد مرة في أوائل الشتاء.

أتَـــــراه؟ قلـــــت: حقًّـــــا هـــــو في الـــــدنيا العـــــزاء

هـــــو حـــــبٌ وحيـــــاة وربيـــــــــع يا شـــــــــتاء

•••

مـــــن بـــــني الإنســـــان في ذا تِ شـــــــــتاءٍ وُلـــــــــدا

زينـــــةً للعـــــين واللبـــــبِ وللقلـــــب بـــــدا

طـــــاهر كالمزنـــــة البيـــــضاء صـــــافٍ كالنـــــدى

كبنـــــات الـــــروض مفتنـــــنُ الحلـــــى جـــــمُّ الحيـــــاء

وارفٌ كالظـــــــل مُحـــــــيٍ في شـــــــذاه كـــــــالهواء

•••

يا شـــــتائي فـــــيم إخفـــــا ؤك ذاك الســـــرَّ عـــــنِّي؟

أي روض؟ أي بـــــــــرق أي شمـــــس فيـــــك أعـــــني؟

أنا مســـــتغنٍ بـــــه عنـــــ ـــــها فمـــــاذا عنـــــه يُغـــــني؟

قـــــد تعلمـــــتَ وأتقنـــــ ـــــتَ أفـــــانين الســـــخاء

منـــــذ عشـــــرين وخمـــــس مـــــن سِـــــنِي الـــــدهر ســـــواء

ثمَّ عنـــدي كـــل مـــا تعـــ ـــــطي إذا تم العطـــــاء

وجميـــــلٌ كـــــلُّ بـــــدءٍ ينتهـــــي خـــــيرَ انتهـــاء

وجميـــــل زهـــــرك النـــــا مـــي علـــى هـــذا النمـــاء

صـــدَّقَ العلـــمُ وقـــال الـــ ـــــحبُّ: حقًّـــا يا شـــتاء

سُـــــنَّةُ الزهـــــر نشـــــوء في المعـــــاني وارتقـــــاء

إساءة مشكورة

إليـك مـني الشـكر حـتَّى علـى إسـاءة اللقيـا غـداةَ السـفر

أغضـــبني منـــك فـــأنجيتني من لوعة الهجر وطول السهر

إذا التـوى الصـبر علـى عاشـق تعـرَّض العتـب لـه فاصـطبَر

مـــا ذاكـــر اللجـــة ريًّا لـــه كـذاكر اللجـة فيهـا الخطـر

ولهفـــة الظـــامئ ترياقهـــا أن ينظر الغُصَّـةَ فيما انتظر

عروس الشعر - في البعد

عـــروس شـــعري أجيـــدي في البعـــد نظـــم القصـــيد

فـــيمَ الســـكوت؟ أمـــا مـــن وحـــيٍ؟ أمـــا مـــن نشـــيد؟

أوحْـــــيُ ثغـــــرٍ لثغـــــر أو لا صـــدى مـــن بعيـــد؟!

أمـــــا سمعـــــت بـــــبرق مُســـــتحدَثٍ أو بريـــــد؟

وناقـــــلٍ مـــــن أثـــــير وســـــكةٍ مـــــن حديـــــد

بشـــــرى إذن ألـــــف بشـــــرى بيـــــوم قـــــرب ســـــعيد

إلى المزاهـــــــــر هـــــــــزّي أوتارهـــــا مـــــن جديـــــد

ورنّمـــــــــي واســـــــــتعدي ورتّلـــــــي واســـــــتعيدي

صنوفُ حبٍ

عرفـــتُ مـــن الحـــبِّ أشـــكالَه وصـاحبتُ بعـدَ الجمـالِ الجمـالَ

فحـــــبَّ المصـــــوّرِ تمثالَـــــه عرفـتُ! وحـبَّ الشـبابِ الخيـالَ

•••

وحـــــب القداســـــة لم أَعـــــدُه وحـــــب التصـــــوف لم يَعـــــدُني

وفي كـــــلِّ حـــــبِّ وَرَى زنـــــدُه سمـــــاتٌ مـــــن المـــــؤمن الـــــدَّيِّن

•••

وحـــــب المزخـــــرَف والمنتَقـــــى وحـــــب المجـــــرَّد والعاطـــــل

وحـب الجِمـاح، وحـب التُّقَـى وحـــــب المجـــــدِّد والناقـــــل

وحــب الثِّقــات وحــب الصــحا ب، وحــب الطبيعــة في حســنها

وحــب الرجــاء وحــب العــذا ب، على يأس نفسي من حزنها

•••

وحــب الــتي علَّمتــني الهــوى وحـــب الـــتي أنا علَّمتهـــا

ومــن أســتمدُّ لــديها القُــوى ومـــن بالقـــوى أنا أمـــددتُها

•••

وحــب الجيــاع صــحاف الطعــام وحــب الظمــاء كئــوس الشــراب

وحــب الكفــاح وحــب الســلام وحب الضلال وحب الصواب

•••

صــنوف مــن الحــب لا تلتقــي وفيــك الْتَقــى لبُّهــا المحتــوى

فلــولا هــدى نورهــا الأســبق لمــا كنــت كُفْئًــا لهــذا الهــوى

ليالي رأس البر

مناظر من سحر الجمال أراها ... ولولا سناها قلت: كنت أراها

تلوح كذكرى حالم يستعيدها ... لعمق معانيها، وبعد مداها

فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ ... وفيها من السلوى جميل رضاها

ليالٍ برأس البَرّ تَنْدَى وداعةً ... وَرِقَّةَ أشجانٍ، وطاب نَداها

وداعةَ ذاتِ الدَّلّ شابَ فؤادَها ... شوائبُ من هَجْرٍ، فراضَ صِباها

•••

ليالٍ برأس البرّ طابَ نَداها ... وشَفَّت دياجيها ورقَّ سناها

هنا النيل ساجٍ طال في الدَّهر سيرُه ... وطالت مرامي نبعه فسلاها

هنا البحر ثوَّارُ الدُّهور على الكرى ... ويطغى فلا يحمي النفوسَ كراها

إذا استرسلت أصداؤه في اطِّرادها ... ترسَّلتِ الأحلامُ ملءَ مُناها

هنا عالمُ السَّلوى، هنا العالمُ الذي ... تحِسُّ الليالي فيه همسَ خطاها

هنا العالمُ المشهود ذكرى قديمةٌ ... وذكراك دنيا لا تزالُ تراها

فلــولا حيــاتي في عروقــي أحسُّــها لقلــت: نعـيم الغـابرين طواهـا

•••

جمالك – رأسَ البر – في زيٍّ ناسك إذا ضاحك العين الضحوك شجاها

لياليك – رأسَ البر – في صومعاتها مناسكُ ضلَّت في الظلام هداها

صحابك – رأسَ البر – أطيافُ نائم تساوى لديها صُبحها ودُجاها

عناها الذي يَعني النيامَ من الرُّؤَى ولم أرَ جهـدًا في الحيـاة عناهـا

حياتك – رأسَ البر – طفلٌ مجدد سـقته ثُـدِيُّ الخالـدات جناهـا

فـلا تحرمينـا رشـفةَ الخُلـد كلَّمـا فنَينا، وكم تُفني الجسومَ نُهاها

بحسـبيَ مـن أبنـاء آدم إن صـفا لنا العيش يومًا، أن تكفَّ أذاها

شرفة مصر في رأس البر

ينتهـــي البَـــرُّ ههنـــا أو هنـــا البـــدء أوَّلا

نحـــن في باب شـــرفة إن تكـــن مصـــرُ منـــزلا

نـــترك الأرض خلفنـــا ونـــرى البحـــر مقـــبلا

كالـــذي يهجـــر الـــديا رَ إذا ارتاض واختلـــى

مصـــر مـــن خلفنـــا ولا مصـرَ مـن صـوبنا ولا ...

حبـــــذا «الـــــرأس» شـــــرفة ومَصِـــــيفًا ومـــــوئلا

فرجـــــة الـــــنفس كلَّمـــــا عافـــــت الأرضَ والمـــــلا

خبر الربيع

يا أيهـا الـورقُ المخضـرُّ في شـجرٍ عهدي وما فيه من ذي خضرة أثرُ

من أين أقبلت؟ بل من أين أقبلَ في عيدانك العوجِ ذاكَ العطرُ والزهرُ

إنا سـألنا، ولـو عـاد السـؤال إلى فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر

سـلنا بحقـك مـن أيـن اسـتجدَّ لنـا هذا السرور الذي في القلب ينتشر

كلاهمـا طـارقٌ طـاف الربيـع بـه على بـراق مـن الأنـوار ينحـدر

سـلْهُ فـإن لم يُجـب فـانعم بمَقدَمـه وافـرح بـه، وانتظـره حـين يُنتظـر

إذا أجـــاب بأزهـــار مفتَّحـــة وبالسـرور، فحسـبي ذلـك الخـبر

الوجود! لا تنازع الوجود

ليس السرُّ الأكبر هو تنازع الوجود، بل السرُّ الأكبر هو الوجود نفسُه، كيف كان وما الذي يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع تعليل بشيء يحتاج هو نفسه إلى تعليل. وأنت لا تعطيني الكنز إذا

وصفتَ لي صراع الطامعين فيه، وكذلك لا تعرِّفني سرَّ الحياة وكنزَها المخبوءَ إذا وصفتَ لي تنازع البقاء.

«نـزاع بقـاء» فصَّـلوه وعـدَّدوا ... ورامــوا بــه ســرَّ الوجــود فأبعــدوا

أيوجــد مخلــوق ليحمــيَ نفسَــه ... من الخلق؟ أم يبغي الحِمى حين يوجد؟

هـو السرُّ كـلُّ السر أنَّـك كـائنٌ ... وأنك تبغي الكونَ(١) والكونُ مجهد

فـلا تُحـصِ ألـوان النـزاع فإنّمـا ... هنا السرُّ والكنز الذي عنك يوصد

أمعطيَّ كنزًا إن عرضتَ لناظري ... صــراعًا علــى أعتابــه يتجــدد؟

«نـزاع بقـاء» فصَّـلوه وعـدَّدوا ... ورامــوا بــه ســرَّ الوجــود فأبعــدوا

تجربتي

تجــربتي! أيــن أنــت تجــربتي؟ ... يا كتـبي! أيـن أنـت يا كتـبي؟!

لم تمنعـــي دمعـــةً تؤجِّجهـــا ... في القلب نار العذاب والغضب

إليــك عــني! فلســت مانعــةً ... حــزني، وقــد تمنعيــني طــربي

وقــد تشــوبين لي الصــفاء ومــا ... تُصفين عيشي من كدرة الرِّيب

لهفــي علــى غــرة أعــيش بهــا ... غفلان، والفاجعات عن كثب٢

---

(١) الكون: مصدر كان، وهو: الوجود.

لهفـي علـى جُنَّـة أهـيم بهـا مقهقهًـا بـين فـادح النـوَب

قربان القرابين

ما في القرابين ولا الأعياد

أبرُّ في اللب وفي الفؤاد

من يوم حبٍّ بالحياة شاد

مدَّخرٍ منتظر الميعاد

تبذله للموت والحداد

رعيًا لمن باتوا على وساد

من الثرى في غير ما رقاد

وقطعوا في القبر كل زاد

الفن الحيُّ أو الحياة الفنية

خذْ من الجسم كلَّ معنى، وجسِّم من معاني النفوس ما كان بكرا

حبذا العيش يبدع الفكر جسمًا نجتليه، ويبدع الجسم فكرا

ويــرى الفــنَّ كالحيــاة حيــاةً ... ويــرى للحيــاة فنًّــا وشــعرا

ضــلَّ مَــن يَفصِــل الحيــاتين جهــلًا ... واهتدى مَن حوى الحياتين طُرًّا

عمر السعادة

إن السعادة هي الكفاية، والاكتفاء بدءُ التحوُّل والاستغناء، فكأنما السعادة تغرينا بالتحول عنها حين نملكها، فإن لم تُغرِنا بذلك فهي كالنور الذي ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب، فتخلق لنا أسبابًا كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافيةً علينا؛ إذ نحن نريد الدنيا أبدًا رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل.

ثِق بالرَّهان على عمر الزُّجاج ولا ... تثق بعمرٍ سعيدٍ طال أو قصرا

لعــلَّ أســعدَ حــيٍّ أنــت مُصــبحه ... يمـوت قبـل نـزول الليـل منتحـرا

وفي الســعادة مــا يُغــري بفرقتهــا ... إن الكفايةَ تكفي من رأى ودرى

وربمــا شــوَّهت دنيــاك أجمعهــا ... إذا رأيــت بهــا عيبًــا، وإن صــغرا

العرَّاف

مـــن عهـــودٍ مجهولـــةٍ وديار ... هــي أخفــى مــن عمــره مســتقرًّا

حمـل اللحيـة الـتي تنسـج الدهـ ... ــر، وتبديــه للنــواظر شــعرا

هـو غيـبٌ فكيـف لا يعلـم الغيـ ـبَ؟ ودهر فكيف يجهل دهرا؟

خلفـه للزمـان سـرٌّ، فهـل يطـ ـوي غـدٌ مـن أمـام عينيـه سـرًّا؟

في خفـايا المجهـول عـاش فسـلْهُ عـن خفـايا المجهول ينبئْك جهـرا

التقديس

عـــــارفُ التقـــــديس رو حـيٌّ، وإن قـدَّس جسـما

ومهـــينُ الجســـم جسميـــْ ـيٌّ، وإن كـان «بَرَهْمـا»

أنـــت بالتقـــديس تســـمو لا بمـا قدَّســتَ تُسـمى

وهـــي الأعـــين لا النـــو ر الـتي تجلـو، وتعمـى

يوم شتاء

يـوم بيـتٍ لا يـومَ خـوض الـدياجي فانجُ ما بين صفحة وسراج

وجمـالٍ مـن النفـوس يُنـاجَى في أسـارير وجهـه ويُنـاجِي

مسـتهلَّيْن والطبيعـة غَضْـبَى وكلانا من هولها الصعب ناجِ

نتحـدَّى الـرياحَ والليـلَ والأهـ ـوال طُرًّا بصفحةٍ من زجاج!

فـإذا مـا يـروع منهـا ويضـني نتلقـاه ههنـا بابتهـاج

كالــذي يشــهد الكــوارثَ فنًّــا مـن فنـون التمثيـل والإخـراج

السرور

منـع السـرور حـذار قلـبيَ قبلـه ألَّا يـــتم، وبعـــده التنغيصـــا

ويزيـــدني كلفًـــا بـــه وضـــنانةً ألَّا يبـاح – إذا أبـيح – رخيصـا

القديس

إن يجهـل النـاس مـا القـديسُ في خلـق فأنـت وحـدَك قـديس السـموات

لا مـانح الخـير كـلُّ الخلـق تحمـده أو مـــانح الخـــير مجـــزيًّا بجنـــات

أو مـــانح الخـــير يرويـــه ويرســـله في حاضـر مـن سـواد النـاس أو آت

منحـت خـيرك تأبى أن يـذاع، وقـد تخشـى عقوبتـه في يـوم ميقـات

منحتَـه مـن سـخاءٍ لا جـزاءَ لـه إلَّا مســـرَّة وهَّـــاب المســـرَّات

تلـك القداسـة حقًّـا لا قداسـة مـن يزدان بالعرف في سمتٍ وإخبات [1]

تلـك القداسـة مـن نـور وإن سُـترت كأنهـا الـذنب في ليـل الخطيئـات

---

(1) الإخبات: هو التخشع.

نسختان

خذْ من رجائك نسختين ولا تُصن أبـدًا رجـاءَك في كتـاب [1] واحـد

فإذا التوت إحداهما عـن قصـدها لم تخطـئ الأخـرى سـبيل القاصـد

العزاء جملة

غنيــتُ عــن العــزاء، وهــل عــزاءٌ لمن قبل المُصَاب رأى المصابا

تســلَّفت الفجــائع في ارتقــاب وحســبي أن أهوِّنهــا ارتقــابا

لقــد هانــت خطــوبي حــين باتــت حيــاتي كلهــا خطبًــا عجــابا

فــإن شــئتم فعــزوا في حيــاتي مجازفـةً، ولا تحصـوا الحسـابا

مناجاة الدنيا

يقول الحيُّ: إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هي الخاسرة، والحيُّ لا يشعر بخسارة فقد الحياة.

وتقول الدنيا: إنَّ حيًّا يجيء يغنيها عن حيٍّ يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا خسارة عليها.

---

(١) الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب، أو «الخطاب».

ويقول صوتٌ خالدٌ لا هو صوت الأحياء ولا هو صوت الدنيا: إنَّ الفناء يصيب الدنيا كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفني أبدًا أو يفنى أبدًا، وإنّما كلُّ كائن له دور في الإفناء ودور في الفناء.

إن تكـن غايـةُ سـعي الحـيِّ مـوتٌ فيـك يا دنيـا، فأنـت الخاسـرةْ

أو يكـن بعـد فنـاء المَيْـت عـيشٌ فيـك يا دنيـا فأنـت العـامرة

نحن إن عدنا إليك الخاسرون

•••

قالـتِ الـدنيا: بحـيٍّ بعـد حـي أنا أسـتبقي ينـابيع الحيـاة

فـامكثوا فيَّ نفوسًـا أو تـرابًا ما على الحالين عندي من شَكَاة

إن ذهبتم فكما كنت أكون

•••

قـال صـوت لـيس بالـدنيا ولا هـو بالنـاس ولا غيرهمـا

فيـه منهـا ثم مـنهم أثـرٌ ثم مـن شـيء سـرى بينهمـا

كلنا نحن حياة ومَنون

كلنا يفنى ويُفني ويصون

كلنا مفترقون، كلنا متحدون!

متفرقات

إلى الأستاذ مكرم [1]

يا من أسى جرح مصر في ضمائرها ... جِراحُ جسمك تأسو مصرُ شكواها

إذا شكا مكرمٌ فدَّته أمته ... كما رعاها وحيَّاها وفدَّاها

الله والنيل قد صانا وقد عرفا ... من ليس يعرف إلَّا النيلَ واللهَ

تهنئة

ولدي في البيان والأدب ... تلك قُرْبى من أكرم القُرَب

كن أبًا واستمع نداءك من ... كلِّ نجل بذلك اللقب

فإذا حفَّك البنون بما ... شئت من بهجة ومن لعب

وإذا ما بلغت في عقب ... فوق ما قد بلغت في نسب

وإذا ما ارتقيت في رتب ... أبدًا ترتقي إلى رتب

كان لي الفخر أن دعوتك: يا ... ولدي، أو دعوتني بأبي

إنَّ في حافظٍ (١) لمفخرةٌ ... لذويه وصحبه النجب

---

(١) وجهت إلى الأستاذ النابغة «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية في المستشفى القبطي.

تقريظ

لـك شـعر يحكـي سـريرة نفـس ... رُكِّبـــت مـــن صـــراحة ونقـــاء

جُبلـتْ كـالفراش في أمـة الطيـ ... ـر خفوقًـا بـين النـدى والضـياء

واسـتوت في الحيـاة فـوق جنـاح ... مسـتطار الخطـى رقيـق الغشـاء

فتعهَّـدْ حـدائق الشـعر والْـبَس ... حلـل الـروض، واطَّلـع في السـماء

وانشـدِ النور في جوائك واطلب ... بعـدها الشـمس في رحيـب الفضـاء

أنـت يا طـاهر (٢) الفـؤاد جـدير ... مـــن محبيـــك بالرضـــا والثنـــاء

لـك يـومٌ مـوفٍ بأجمـل سـعي ... وغـــدٌ مقبـــل بخـــير رجـــاء

أسود يلتحي

أليس كَفَـى هـذا السـواد فزدتَـه ... سـواد غـراب في لحـاك معلـق؟

سـريت بـرأس لا حـدود لوجهـه ... فمـا زال فيـه الليـل بالليـل يلتقـي

ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى ... سـوادك محفوفًـا بأبـيضَ مشـرق

---

(١) قيلت في تهنئة الأديب المهذب «حافظ جلال» بخطبته.

(٢) هو الشاعر الأديب: «طاهر الجبلاوي»، والأبيات نظمن في تقريظ ديوانه «ملتقى العبرات».

وأخلقُ أن يرتادك الشيب حالكًا على حالكٍ، لو كان يجري بمنطق

نبوءة[1] أو وسواس

يا نبيِّـــي العزيـــز! أنـــت نـــبيٌّ غلبتـــه وســـاوس الشـــيطان!

غلبتـــه الشـــكوك لا عـــن بيـــان ناطـــق بالهـــدى، ولا برهـــان

موجسًـا مـن خيانـة في ثنـايا الغيـ ـب، والغيـب صـارم الكتمـان

دلَّـــه حدســـه عليهـــا ومـــا دلـــْ ـلَ على موضـع لهـا أو زمـان

أو علـــى آثم جناهـــا وأخفـــى ســـرَّها عـــن رقيبـــه اليقظـــان

قـــل لنـــا الســـرَّ كلَّـــه يا نبيِّـــي أو فهـا نحـن في الهـوى سـيان

أعـــرف النـــاس خـــائنين فهـــلا زدت شـيئًا علـيَّ في العرفـان

يا نبيِّي، فاشـرح لنـا أنـت مـا قـد كان، لا ما يكون في الإمكان

([1]) تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن، والشاعر يقول في هذه القصيدة: إن هذه النبوءة لا تعدو القول بأن الخيانة موجودة في الناس، وهذا شيء نشترك في علمه أجمعين.

البيلا[1]

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا مـــا أحلـــى «سُـــلب البـــيلا»

•••

هـــاتوا البـــيلا واســـقوني هـــاتوا البـــيلا. داووني

الطـــب «وديـــني» يوصـــيني بالبـــيلا، تحيـــا البـــيلا!

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا مـــا أحلـــى البنـــت البـــيلا!

•••

مـــا لي ومـــا للشـــيكولاتا تمشـــــــــــي لي تاتا تاتا

بطـــلٌ مثلـــي هيهـــاتا بالحلـــوى ينســـى البـــيلا

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا أبـــدًا لا أنســـى البـــيلا

•••

يـــوم رضـــاعي خـــدعوني بالبـــــيلا لم يـــــرووني

مـــن ثـــدي لا تســـقوني اســـقوني، اســـقوني البـــيلا

---

(١) البيلا: أي البيرة ... والقصيدة منظومة في طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقدارًا قليلًا جدًّا من الجعة يشربه بين حين وآخر، فألِفَ الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة. وفي القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضي أمره؛ فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير.

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا هـــاتوا لي كـــأس البـــيلا

•••

أخطـــف كأســـي بالكفـــين خطـــف المفطـــوم الثـــديين

إن أغمـــض عينيـــه الثنتـــين فتحـــت عيـــني البـــيلا

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا «نـــور العينـــين» البـــيلا

•••

بالبـــيلا كنـــت حكيمًـــا أرضـــى بالمـــر عليمًـــا

طمعًـــا في الصـــبر وفيمـــا يحلـــو مـــن وعـــد البـــيلا

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا مـــا أحلـــى وعـــدَ البـــيلا!

•••

قـــالوا الســـكران العربيـــد! عربيـــــد أنا بالتأكيـــــد

أرقـــص، وأغـــني، وأجيـــد في ســـاعة «ســـلب البـــيلا»

البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا غنـــوا في نخـــب البـــيلا

•••

لقـــبي في صـــحبي «هِمَّـــا» ظلمـــوني في اسمـــي ظلمـــا

إن نادوا البـــــــيلا يومًـــــــا أغلـــط في اسمـــي والبـــيلا

يحيـــا «هِمَّـــا» والبـــيلا البـــيلا. البـــيلا. البـــيلا

هجاء

هجاء الدهر

أباســـــــمٌ تُغـــــــنِّي؟ لُعنـــــتَ شـــــرَّ لعـــــن

وإن عـــــداك مُثْـــــنِي خـــــذ الثنـــــاء مـــــني

يا دهر وامضِ عني

•••

كـــــن عابسًـــــا قطـــــوبًا أو ضـــــاحكًا طـــــروبًا

مـــــا أشـــــبه الموهـــــوبا عنـــــدك والمســـــلوبا

إليك! دعني دعني

•••

مـــــا أقـــــبح اللئيمـــــا! مبتســـــمًا كظيمـــــا

أدنى إليـــــه ســـــيما أن يُبتلـــــى دميمـــــا

يعوي ولا يُغنِّي

•••

أمـــــانحي الســـــرورا؟ خـــــذه وَبِـــــنْ مـــــدحورا

لـــــو لم أكـــــن موتـــــورا أشـــــكو الأذى المقـــــدورا

ما شاقني بحسن

•••

أيـــــن الجمـــــال أينـــــا؟ كـــــلُّ الجمـــــال منَّـــــا

إن شـــــئت لا إن شـــــئنا فقـــــرَّ أنـــــت عينـــــا

وخلِّنا في أمن!

خنزير أعجف

فيـــــه خنزيريـــــة ظـــــاهرة مـا نفاهـا عنـه ذاك العجـف

هـــو خنزيـــر ولكـــن شـــأنه جسـدٌ في وضـعه منحـرف

اللؤم خالد

يا عصبة اللؤم مهلًا بعضَ غيرتكم فاللؤم لا ينقضي إن لم تُجلَّوه

سيخلد اللؤم في الدهر اللئيم وإن أذلـه أهلـه – لؤمًـا – وملَّـوه

رثاء

نصيب الحي والميت

يا صـــديقي لنـــا البكـــاء ولـــك المـــوت والســـلام

عنـــدنا النـــور والعنـــاء! عنـــدك النـــوم والظـــلام!

لـــيس يأســـى أخـــو فنـــاء بـــل أخٌ بعـــده إقـــام

•••

أتبـــعُ الصـــحبَ في القبـــور ببكـــائي، ومـــا اهتـــديتْ

أنا لـــو دام لي الشـــعور بعـــد مـــوتي لمـــا بكيـــتْ

عـــالمٌ كلـــه غـــرور عشـــتُ مـا عشـت أو قضـيتْ

•••

هالـــكٌ كـــلُّ مـــا يكـــون تســـتوي الـــنفس والصـــفاة

فلمـــن تحصـــد المنـــون ولمـــن تـــزرع الحيـــاة؟

بـــدأت حكمـــة الجنـــون وانتهـــت حكمـــة الهـــداة

رفيق الصبا[1]

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا ... وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا

وآذن فيك الصبر أن لا يعينني ... وآذن فيك الحزن أن يتغلبا

أألقاك عند النيل إن عدت في قنا ... وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا؟

ونستنشد الأشعار في كلِّ ليلة ... ونطلب في كل الأحاديث مطلبا

ونحسب أن الله لم يخلق امرءًا ... على الأرض إلا كي يقول ويخطبا

ونحصي على الدهر البريء ذنوبه ... وما كان إلَّا مازحًا حين أذنبا

أألقاك؟ بل هيهات قد حالت المنى ... فأقربُ منها أن أصافح كوكبا

إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا ... وجدتك رسمًا في التراب مغيبا

وساءلت عنك الصحبَ: أين مزاره؟ ... وأذريت دمعًا عند قبرك صيِّبا

•••

عجيبٌ لعمري موتُ كلِّ محبَّب ... إلينا، وقد كان التعجب أعجبا

حسين! عرفت الموت فيك غريبة ... وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا

أمَنْ هو في ذِكري فتى العمر ينطوي ... كما طوت الأسقام شيخًا معذَّبا؟

---

(١) رثاء الصديق «حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع.

نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى ... ورب فـتىٍّ في الـردى فـات أشـيبا

وسيان في عقبى الطريقين من مشى ... على عصويه من عياء، ومَن حبا

عهدتك في شرخ الصبى ناضر الصبى ... وفاجأني النـاعي فأجفلـت مُكْـذِبا

ألا ليتـه لم يعـرف الصـدق عمـره ... ولم يـكُ إلا كـاذب الظـن مُغـربا

•••

رفـاق حسـين أبِّنـوه وأطنبـوا ... فمـا يخطئ البـاكي سـجاياه مطنبـا

لقـد كـان ميمـون النقيبـة صـالحًا ... وكـان أمـين السـر والجهـر طيِّبـا

وكان عفيف القول لا يقرب الأذى ... ولا يـذكر الإخـوان إلَّا تحبُّبـا

وكـان علـى كنـز القناعـة آمنًـا ... وإن قصـر المسـعى بـدنياه أو نبـا

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفسٌ ... تحـرَّج منهـا مُعرضًـا وتحـوَّبا

وكـان عزيـز الـنفس في غـير جفـوة ... ولا صـلف منـه، إذا صـد أو صـبا

وكـان سميرًا يملـك السـمع كلَّمـا ... تبسَّـط في أسمـاره وتشـعَّبا

أديبًـا يصـوغ الشـعر والنثـر فطـرة ... ويـؤثر في الآداب مـن كـان معـربا

أليفًـا وفيًّـا لا يفـارق صـاحبًا ... ولا منـزلًا إلا انثـنى فتقـرَّبا

أحبَّ قنا واستعذب العيشَ في قنا ... فلم يُغرِهِ عيش، وإن كان أعذبا

لئن ذكر الوافون عهد ولائه ... لما ذكروا إلَّا الوفيَّ المهذَّبا

•••

رفاقَ حسينٍ أسهِبوا فيه واذكروا ... رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا

على كثبٍ منه اجتمعتم فليت لي ... مكانًا من الجمع القنائيِّ مكثبا

كأني وقد فارقته قبل يومه ... سمعت له نعين يوم تغيَّبا

•••

إذا ما رثى المحزون إلف شبابه ... رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا

وودَّع من عهديه في العمر قبلة ... أخف على الروَّاد زادًا وأرحبا

إذا جازها أودى بمختار عيشه ... ولم يبقَ إلا ما اتَّقى وتهيَّبا

•••

أليف الصبى لا تشكُ في الموت وحشة ... فما زال ركب الموت أحفل موكبا

تعاقبت الأجيال تحت لوائه ... وإن بعدوا دارًا وعهدًا وما أربا

وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ ... من الزمن الماضي تلاقت لتذهبا

عليك سلام الله حتى يظلنا ... سلامٌ أظلَّ الناس شرقًا ومغربا

تذييل في اسم الديوان

جاءني – بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان في الصفحة الأدبية بالجهاد – استفهامٌ من بعض الأدباء، يسألني فيه بلهجة لا تخلو من الاعتراض: هل يحرم إذن على الشاعر المصري أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لا محل له؛ لأنني لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين، وإنما قلت: «من العجيب أنك لا تقرأ صدًى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تسمع في هذه الأجواء.»

فالذي يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد، لا شك في وجوده وكثرته في الأجواء المصرية، ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفًا على فصائل من الطير توجد عندنا في بقاع محدودة أو لا توجد إلَّا أيام الهجرة العارضة.

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبني سويف ويتفرق على قلة في أنحاء الصعيد، وقلَّما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية.

أما الطائر الذي يقرءون عنه في الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصري «أولا»، ولكنه إمَّا أن يكون

العندليبَ أو الهزازَ أو فصيلةً أخرى، وهذه الفصائل – بعدُ – مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتها أثناء الهجرة المصرية.

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم في جميع أجوائنا، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها، ولا يُفهم من ذلك إلَّا أنَّ الناظم يطرب على المحاكاة ولا يفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار؟

الفهرس

مقدمة في اسم الديوان ٥
الكروانيات ١١
غزل ومناجاة ٣٢
صفات وتأملات ٨٧
متفرقات ٩٧
هجاء ١٠٣
رثاء ١٠٥
تذييل في اسم الديوان ١٠٩